الدولة النورماندية في صقلية دراسة في تاريخها السياسي وعلاقاتها الخارجية

ا.م.م.محمد عبدالله المعموري
جامعة بابل/كلية التربية للعلوم الانسانية

المقدمة

استطاع النورمان في سنة 484هـ من الاستيلاء على جزيرة صقلية وإنهاء الوجود العربي الإسلامي في هذه المنطقة والذي أستمر لأكثر من قرنين ونصف من الزمان. وقد ساعدهم على ذلك حالة الانقسام الذي كانت تعيشه الجزيرة المذكورة ، بسبب الصراع على السلطة بين أبن الحواس وابن الثمنة، واستنجاد الأخير بالنورمان من أجل تخليصه من خصمه أبن الحواس ، وكان ذلك بداية تدخل النورمان في صقلية رافق تلك الأحداث ضعف أمارة بنو زيري وتقلص مناطق نفوذها في أفريقية ، بسبب أنشغالها بالصراع مع القبائل الهلالية التي غزت بلاد المغرب العربي حدود سنة 443هـ ، بامر من الخليفة الفاطمي المستنصر بالله(427-487هـ) ، فضلاً عن ضعف الدولة الفاطمية وأنشغالها بالحروب الصليبية، أما بالنسبة للمرابطين فقد ركزوا جلّ اهتمامهم على مقاتلة الموحدين الذين ظهروا كقوة لايستهان بها على مسرح الأحداث السياسية في المغرب الأقصى. وفي ظل تلك الظروف الصعبه وجد النورمان الفرصة مؤاتية لتنفيذ مشروعهم التوسعي في صقلية ومن ثم الأنطلاق منها باتجاه الساحل المغربي وهذا ماحدث فعلاً سنة 529هـ ،عندما أستولوا على جزيرة جربة ومن ثم الساحل الأفريقي، وبذلك أصبحوا بتماس مباشر مع الدول الأسلامية التي كانت قائمة في المغرب العربي. وبعد دراسة النصوص التاريخية المتعلقة بسيطرة النومان على صقلية فضلاً عن النصوص التي تتعلق بعلاقاتهم مع المغرب العربي، وجدنا أن الموضوع يستحق الدراسة ، خاصة أذ ماعلمنا أن تاريخ صقلية في العهد النورماندي وعلاقاتها بالمغرب العربي لم يدرس دراسه أكاديمية متخصصه، ومر عليه المؤرخون مرور الكرام عند حديثهم عن تاريخ صقلية العام. تناول البحث وبالتسلسل تاريخ صقلية في العهد النورماني أبتداء من عهد راجار الأول وأنتهاءً بعهد تانكريد وهو أخر أمراء صقلية في العهد النورماندي ، ثم تطرق البحث بعد ذلك الى علاقة النورمان بالمغرب العربي ، إذ تناول العلاقة مع الأمارة الزيرية في أفريقية ، فضلاً عن دراسة أسباب الغزو النورماندي للساحل الأفريقي ومقاومة أهل الساحل لذلك الغزو، ومن ثم دراسة علاقة النورمان بمصر وتحديداً بالدولتين الفاطمية والأيوبية ، ثم تطرق البحث بعد ذلك الى دراسة علاقة النورمان بالمغرب الأقصى حيث أبتدأ بدراسة العلاقة مع الدولة المرابطية وأختتم البحث بدراسة العلاقة بين النورمان والدولة الموحدية التي استطاعت القضاء على النفوذ النورماندي في أفريقية سنة 555هـ ، على يد عبدالمؤمن بن علي (524 – 558)هـ. أعتمدت الدراسة على جملة من المصادر بعضها ذا فائدة كبيرة لايمكن الأستغناء عنها، وبعضها ذا فائدة ثانوية، وأبرز المصادر التي تم الأعتماد عليها هي كتاب الكامل لأبن الأثير ، وكتاب المؤنس للقيرواني ، ورحلة التجاني فضلاً عن مصادر عديدة أخرى لايسع المجال لذكرها ، أما بالنسبة للمراجع الحديثة فقد أعتمدت الدراسه على بعض المراجع الأجنبية ، أضافة الى كتاب الدكتور أحمد عزيز، تاريخ صقلية الأسلامية والذي نقله الى العربية الدكتور أمين توفيق الطيبي، والذي أفاد منه البحث فائدة مهمة خاصةً بما يتعلق بتاريخ صقلية في العهد النورماني إذ أعتمد على جملة من المصادر الأجنبية التي لم نستطع الحصول عليها. لاتخلو الدراسة من صعوبات بسبب ندرة المعلومات الخاصة بموضوع صقلية في العهد النورماندي وعلاقتها بدول المغرب العربي، إلا أن أعتماد البحث على أسلوب الأستنتاج وأستقراء النصوص التاريخية وتحليلها وتوظيفها في خدمة البحث ذلل من هذه الصعوبات.

وفي الختام لا يسعني إلا أن أشكر الله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله.

الموقع الجغرافي لجزيرة صقلية

جزيرة تقع وسط البحر المتوسط أو بحر المغرب[1]، والمسافة بينها وبين ساحل افريقية مائة وأربعون ميلاً، واقرب المدن إليها هي اقليبية[2] يفصلها عن ايطاليا مضيق مسيني والذي يسميه الجغرافيون العرب مجاز الغاز والذي يبلغ اوسع اتساع له ميلين[3]. وهذا العامل كان مشجعاٍ للمسلمين على اتخاذ صقلية كقاعدة لتوسعاتهم في ايطاليا، فضلا عن سيطرتهم على الجزيرة يعني السيطرة على إحدى مفاتيح التحكم في القسم الأوسط من البحر المتوسط، والسيطرة على مواصلاته، ثم جعلها حصناً منيعاً لحماية المغرب في الوقت نفسه، ومن هنا تظهر الأهمية السياسية والعسكرية لصقلية[4]، فضلا عن أهميتها الاقتصادية فهي كثيرة الثروات الزراعية والمعدنية وغيرها، وأكد الحموي[5] ذلك بقوله: (وهي جزيرة خصبة كثيرة البلدان والقرى والأمصار...وبها عيون كثيرة وانهار جارية ونزهة عجيبة ... وهي كثيرة المواشي جداً من الخيل والبغال والحمير والبقر والغنم والحيوان الوحشي وليس فيها سبع ولا

1- الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت (626هـ/، معجم البلدان، دار صادر ، بيروت،1995، ج3،ص416 .

2- اقليبيه : بالكسر ثم السكون، وكسر اللام وباء ساكنة وباء مكسورة، حصن منيع بافريقية، قرب قرطاجنة مطل على البحر، سمي بذلك إلا أنهم أرادوا بناءه نقبوا في الجبل، وجعلوا يقلبون مجازاته في البحر من اعلى البحر. البغدادي : صفي الدين عبدالمؤمن بن عبد الحق ، مراصد الإطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع ، تحقيق علي محمد البجاوي ، دار الجيل ، بيروت ، 1992 ،ج 1 ، ص 105.

3- البكري : أبي عبيد عبدالله بن عبدالعزيز ، المسالك والممالك ، تحقيق جمال طلبة ، منشورات محمد علي بيضون ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 2003 ، 2/52 ؛ الحموي، معجم،3/416 .

4- الدوري، تقي الدين عارف،صقلية علاقاتها بدول البحر المتوسط الإسلامية من الفتح العربي حتى الغزو النورمندي، دار الرشيد للنشر، بغداد ، 1980،ص37.

5- معجم البلدان ، 3/417.

حية ولا عقرب، وفيها معدن الذهب والفضة والنحاس والرصاص والزئبق، وجميع الفواكه على اختلاف أنواعها وكلاهما لا ينقطع صيفا ولا شتاءً).

ويصفها أبن جبير[6] بقوله : (وخصب هذه الجزيرة أكثر من أن يوصف ، وكفى بأنها أبنت الأندلس في سعة العمارة ، وكثرة الخصب والرفاهية ، مشحونة بالأرزاق على أختلافها ، مملؤه بانواع الفواكه وأصنافها ، لكنها معمورة بعبدة الصلبان ، يمشون في مناكبها ويرتعون في أكنافها. ولابد إن المسلمين فكروا أنهم قادرون على تحويل ارض صقلية الخصبة وإمكانياتها الهائلة إلى ما يزيد من إنتاجها، وبالتالي فإنها تعود عليهم وعلى دولتهم بالخير ورفاهية العيش وكان لموقع الجزيرة عموماً أثره في جعلها محط أنظار العالم، فوقوعها وسط البحر المتوسط ساهم في ايجاد تسهيلات كبيرة لتجارة الشعوب التي تقع على ذلك البحر ، ولابد إن هذا الموقع كان له اثر في تفكير المسلمين في فتحها[7].

فتح العرب لصقلية العرب لصقلية .

وجد الأغالبة الفرصة مواتية لفتح صقلية عندما طلب قائد الأسطول البيزنطي في صقلية يوفيموس منهم معونة حربية لعداء بينه وبين الإمبراطور ميخائيل الثاني، واختلفت المصادر في سبب ذالك النزاع[8]، والذي أدى بميخائيل الثاني إلى إصدار أمر بقطع انف يوفيموس عقاباً على جرمه، ففر الأخير إلى أمير الاغالبة ودعاه إلى فتح صقلية مبينا غناها وسهوله فتحها[9]بدا فتح العرب لجزيرة صقلية في عهد الأمير زيادة الله الأول[10] (201-223هـ) بحملة أبحرت من مدينة سوسة في صيف من عام (212هـ) بقيادة القاضي الشهير أسد بن الفرات بن سنان[11] . وكان الجيش الفاتح يتكون من عشرة ألاف فارس حملوا على ظهر مائة مركب، وسرعان ما استولى العرب على معظم الجزيرة من أيدي الروم واتخذوا (بلرم) [12] عاصمة لهم ، ومع هذا فأن بعض معاقل الروم في شرقي الجزيرة لم تسقط في أيدي المسلمين إلا بعد مدة، وقد ظلت جزيرة صقلية تحت السيادة العربية أكثر من قرنين ونصف القرن من الزمان (212-484هـ) ، وخلال تلك المدة تحسنت أحوال سكان صقلية ، ولم يفرض عليهم كذميين سوى دفع الجزية، وازداد عدد المسلمين في الجزيرة بعد إن انتقل إليها عدد من سكان افريقية وغيرها، فضلا عن انتشار الدين الإسلامي نتيجة اعتناق سكانها الإسلام، وهذا ما وضحه لنا ابن حوقل[13] حين ذكر إن بمدينة بلرم وحدها نيفا وثلاثمائة مسجد ، وذلك إثناء زيارته إلى المدينة في منتصف القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي، وهذا يعطي موشراً واضحاً على مدى انتشار الإسلام في الجزيرة.

ظلت صقلية تابعة إلى الاغالبة الى سنة297هـ وهي السنه التي قضى بها الفاطميون على الدولة المذكورة ، وبذلك دخلت الجزيرة تحت السيادة الفاطمية وصار يحكمها ولاة باسم الدولة المذكورة التي كان مقرها في المهدية خلال المدة الممتدة (297-358 هـ) ثم القاهرة بعد ذلك ، إلا ان تبعية صقلية للفاطميين كانت اسمية في اغلب الأحيان خصوصا في عهد أسرة

6- أبن جبير : أبو الحسن محمد بن أحمد ، رحلة أبن جبير ، دار صادق ، بيروت ، 1980 ، ص ص 296 ،297.

7- الدوري، صقلية ص38 .

8- يرجع البعض سبب النزاع إن القائد فيمي أحب راهبة حسناء واختطفها من ديرها فعاقبه الإمبراطور عقوبة قطع الأنف، في حين ذكرت مصادر أخرى إن القائد البيزنطي كان يطمع في إنشاء دولة مستقلة تضم ايطاليا وصقلية معاً ، أو بمعنى أخر إحياء الدولة الرومانية القديمة، العبادي، احمد مختار، في التاريخ العباسي والفاطمي، دار النهضة العربية،بيروت، 1971، ص335 . ونحن نرجح العامل الثاني كونه يهدد امن دولة الإمبراطور البيزنطي.

9- العبادي : في التاريخ العباسي، ص335 – 339.

10- زيادة الله الأول بن إبراهيم بن الأغلب (201-223هـ) ثالث أمراء الاغالبة جاء بمرسوم التقليد بولاية افريقية عقب وفاة اخيه أبي العباس، ابن الابار، أبو عبد الله محمد بن عبد الله (ت 658هـ)، الحلة السيراء ، تحقيق حسين مؤنس ، ط2، دار المعارف،1985 ، ج1، ص165؛ ابن الخطيب: لسان الدين، إعمال الإعلام المنشور باسم تاريخ المغرب في العصر الوسيط، تحقيق احمد مختار العبادي وآخرون، الدار البيضاء،1964، ج3 ، ص 17.

11- كان أسد بن فرات من موالي بني سليم واصله من نيسابور، ولد بحران سنة 141هـ، ويؤثر عنه انه كان يقول أنا الأسد والأسد خير الوحوش، وأبي (الفرات والفرات خير الماء، وجدي سنان والسنان خير السلاح، العبادي : في التاريخ العباسي، ص114 هامش 2) .

12- بلرم : وهي أعظم مدينة في جزيرة صقلية في بحر المغرب على شاطئ البحر، وهي ذات سور شاهق منيع مبني من حجر، الحموي : معجم،1/483.

13- أبن حوقل : أبو الحسن محمد بن علي، صورة الأرض، بيروت،د.ت،ص115

الكلبيين[14] الذين حكموا صقلية حكماً ذاتيا وراثياً أكثر من مائة سنة (336- 444هـ) ، وبعدها دبت فيها المنازعات الداخلية مما أدى إلى قيام فترة شبيهه بفترة ملوك الطوائف بالأندلس ، ومن ثم كان من السهل على أي فاتح إن يغزو الجزيرة من الشمال أو الجنوب، وقد فشل بنو زيري في تحقيق ذلك من الجنوب لانشغالهم بحروبهم[15]،بينما نجح النورمانديون حكام جنوب ايطاليا في الاستيلاء على صقلية من جهة الشمال سنة 485هـ[16]ولابد من الإشارة الى إن علاقة الفاطميين بجزيرة صقلية لم تقتصر على التبعية السياسية أو الروحية بل شملت النواحي الحضارية فقد عّم الرخاء إنحاء الجزيرة خلال العهد الفاطمي، وازدادت موارد البلاد الزراعية والتجارية ، فضلاً عن التسامح الديني الذي كان أساس المعاملة بين الحاكم والمحكومين بالجزيرة فكان المسلمون والنصارى يعيشون جنباً إلى جنب في جو تسوده المساواة، وانتشرت العادات الإسلامية بين سكان الجزيرة حتى تشبه النساء النصارى بنساء المسلمين في أزيائهن[17]، واستمر هذا التأثير إلى ما بعد زوال الحكم الإسلامي من الجزيرة وذلك لأن العادات والتقاليد لا يمكن إن تتغير بسرعة من ناحية فضلا عن أن الحضارة الإسلامية كانت متطورة ومتغلغلة في كل مرافق الحياة في الجزيرة.

تاريخ صقلية في العهد النورماني:

يعد شمال أوربا هو الموطن الأصلي للنورمان، الذين أنتقلوا بعد ذلك الى شمال فرنسا وأستقروا في مقاطعة نورماندي والتي تعرف بأسمهم حتى الآن ، ثم توجه بعد ذلك قسم منهم الى جنوب إيطاليا [18] ، ومن هذه المنطقة قاموا بالإغارة على صقلية الإسلامية، والنورمان طوال تاريخهم انتهازيين جشعين يتطلعون دائماً إلى الاستيلاء على أراضي يتخذونها إمارات لهم على النمط الإقطاعي السائد آنذاك في أوربا، إلا إن استيلائهم على صقلية لم يكن بالأمر السهل، فقد صمدت بعض المعاقل والمدن بوجه النورمان أكثر من الثلاثين عاماً إلى إن تم لهم فرض سيادتهم على الجزيرة بالكامل في سنة 484هـ[19] قام رجار الأول[20] بحملة استطلاعية في جزيرة صقلية سنة 453هـ ، هاجم خلالها مدينة مسينة[21] ، التي صمدت أمامه مما دعاه إلى الانصراف إلى البر الايطالي، ويعلل احد الباحثين سبب تطلع النورمان إلى جزيرة صقلية فيقول: (ولابد إن النورمان استهوتهم ثروة الجزيرة، في حين إن وجود المسلمين في صقلية لابد وانه بدأ للنورمان تهديداً لممتلكاتهم الايطالية التي استحوذوا عليها حديثا) [22]، ويبدو أن العاملين

14- موسس هذه الدولة هو الحسن بن علي بن الحسين الكلبي، ولاه الخليفة المنصور الفاطمي على صقلية سنة 336هـ مكافأة على خدمات التي أسداها للدولة الفاطمية ، وأستمر حكم الكلبيين في صقلية الى حدود سنة 437هـ وهي السنة التي أنقسمت بها الجزيرة الى دول طوائف متناحرة فيما بينها الأمر الذي سهل على النورمان دخولها. احمد عزيز : تاريخ صقلية الإسلامية، ترجمة أمين توفيق الطيبي، الدار العربية للكتاب، ليبيا- تونس، 1980، ص 37 - 44 ؛ العبادي : في التاريخ العباسي، ص337.

15- كان أمراء بني زيري قد انشغلوا بحروبهم ضد أبناء عمومتهم بني حماد في القلعة وبجابه ضد قبائل بني هلال وبني سليم. الطيبي، أمين توفيق، دراسات وبحوث في تاريخ المغرب والأندلس، الدار العربية للكتاب، ليبيا- تونس،1984،ص44 .

16- العبادي : في التاريخ العباسي، ص 339 .

17- مورينو: موريتو نورماريو، المسلمون في صقلية، ط2 ،منشورات الجامعة اللبنانية ، بيروت، 1980 ص ص 16-17؛ العبادي، في التاريخ العباسي، ص ص 339-340 .

18- أحمد : تاريخ صقلية ، ص57 – 72 .

19- الطيبي: دراسات، ص45.

20- وهو من الشخصيات النورماندية البارزة والتي كان لها دور كبير في تأسيس الدولة النورماندية في صقلية ، وبعد وفاة أخيه جيسكارد قسّم ممتلكاته في صقلية وايطاليا بين إفراد أسرته وأصحابه ، توفي سنة 495هـ/ وقد بلغ السبعين من عمره. احمد، تاريخ صقلية ، ص ص63-64.

21- تقع مدينة مسينة في الشمال الشرقي من جزيرة صقلية ، وتعتبر الميناء الاستراتيجي الهام، وهي تواجه مدينة ريو من الطرف المقابل من جنوب ايطاليا، ويسميها الحموي،مسيني ويقول إن الواقف في مسيني يرى من في ريو. ينظر : معجم البلدان ، 5/130 .

22- احمد: تاريخ صقلية، ص58-22.

السياسي[23] والاقتصادي[24] هما اللذان جعلا النورمان يتطلعون إلى صقلية، أي إنهم ارادوا إن ينتزعوا الجزيرة من العرب المسلمين تأميناً لممتلكاتهم في جنوب ايطاليا، كما إن أطماعهم الغير محدودة هي الأخرى اجتذبتهم إلى جزيرة صقلية، فضلا عن الفوضى والمنازعات الجانبية التي كانت تعيشها الجزيرة والتي لم تغب عن أنظاهم ، إذ نشبت نزاع بين محمد بن إبراهيم المعروف بأبن الثمنه[25] وعلي بن نعمة المعروف بابن الحواس[26] الأمر الذي اسفر عن تجزئة الجزيرة[27] بعد سنة 427هـ وهكذا انقسمت صقلية كما انقسمت الأندلس في الفترة نفسها في عهد ملوك الطوائف، وذلك بعد زوال خلافة قرطبة وانقسام الأندلس إلى عدة إمارات صغيرة مستقلة، إذ عمد ملوك الطوائف إلى الاستعانة بالنصارى ضد بعضهم البعض، وهذا ما حدث في صقلية أيضا عندما حدث خصام عائلي بين ابن الثمنه وزوجته ميمونة، وتطور إلى نزاع بينه وبين شقيق زوجته ابن الحواس صاحب قصر يانة في صقلية. ولم يمض وقت طويل حتى كان الرجلان قد استعدَا للقتال، وقامت الحرب بينهما، فانتهز ابن الثمنه الفرصة ولجأ إلى الكونت رجار النورماني صاحب مليطة وأطمعه في أخذ الجزيرة[28] . ولعل ذلك يفسر لنا قول ابن الأثير[29] على لسان ابن الثمنه (أنا أملككم الجزيرة فقالوا إن فيها جنداً كثيراً لا طاقة لنا بهم، فقال مختلفون وأكثرهم يسمعون قولي ولا يخالفون أمري...) يتضح من النص إن ابن الثمنه قد عرض الجزيرة كلها أو جزء منها على النورمان لقاء مساعدته في الوصول إلى السلطة ولو كان على حساب الأرض وأصحابها، ومهما يكن من أمر فان ابن الثمنه وضع احد ابنائة رهينة عند روبرت جيسكارد[30] في إظهار حسن نيته تجاه النورمان، وهكذا لعبت الأنانية وحب الذات عند ابن الثمنه في عرضه الجزيرة على النورمان في جنوب ايطاليا أملاً إن يسلمه النورمان الجزيرة بعد إن يستولوا عليه وتردد رجار الأول في نصرة ابن الثمنه خوفاً من إن يقحم نفسه في مغامرة قد تسبب لجيشه كارثة، ولكن ابن الثمنه ظل يغريه وييسر له الأمور حتى أقنعه في الاستيلاء عليها، والتي كانت (حلماً من أحلام النورمان)[31] وبناءاً على ما تقدم هاجم رجار الأول مدينة مسينة للمرة الثانية سنة 454هـ ولكن هجومه باء بالفشل أيضا، ولهذا اقتنع راجار بان السيطرة على صقلية لابد إن يكون عن طريق الاستيلاء على مدينة مسينة أولا فضلاً عن الحصول على مساعدة أخيه جيسكارد ، لعدم مقدرته على القيام بهذه المهمة لوحده ، وبالفعل ركزَ على إعداد حملة عسكرية مشتركة ضد مسينة، وبالمقابل أحس المسلمون في تلك المدينة بالخطر النورماني ولهذا طلبوا العون من ابن الحواس الذي لبى الدعوة وأرسل نجدات عسكرية إلى مسينة، ولكنها لم

23- العامل السياسي يتمثل بقرب صقلية من ايطاليا فضلاً عن طلب بعض المسلمين العون من النورمان نتيجة الاختلاف فيما بينهم أي المساعدة من النورمان ضد بني قومهم.

24- العامل الاقتصادي يتضح في كون صقلية غنية بالمزروعات كالبندق والأرز والصنوبر والقمح وقصب السكر، وكذلك توفر الثروات المعدنية كالذهب والكبريت والزئبق والرصاص والنحاس والفضة إلى جانب ازدهار صناعة السفن فضلاً عن موقعها التجاري الممتاز .

25- محمد بن ابراهيم والمعروف(بابن الثمنه) صاحب سرقوسة وهو قائد عسكري ظهر في المدة التي نحن بصددها للمزيد ينظر، احمد، تاريخ صقلية،ص44.

26- وهو القائد العسكري علي بن نعمة المعروف بالحواس، استولى على : بن نعمة على قصريانه وجر جنت والقصر الجديد، احمد: تاريخ صقلية، ص43.

27- تجزأت جزيرة صقلية بين عبد الله بن منكود بإقليم مازر في الغرب وبين ابن الحواس بقصر يانه وجرجنت في الوسط وابن المكلاتي بسرقوسة وقطانية بشرق الجزيرة، ثم حدث إن استولى ابن الثمنه على مدينة سرقوسه من ابن المكلاتي وهزم ابن منكود على يد ابن الثمنه في الجزء الغربي من الجزيرة واتخذ ابن الثمنه لنفسه لقباً رفيقاً هو (القادر بالله) وجعل خطية الجمعة تتلى باسمه في بلرم. النويري : شهاب الدين أحمد بن عبدالوهاب ، نهاية الأرب في فنون الأدب ، تحقيق عبدالمجيد ترحيني ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 2004 ، ج24 ، ص ص207 ، 208.

28- القيرواني : أبي عبدالله محمد بن أبي القاسم ، المؤنس في أخبار إفريقية وتونس ، تحقيق محمد شمشام ، المكتبة العتيقه ، تونس ، 1967 ، ص ص 88، 89.

29- أبن الأثير: عز الدين أبو الحسن علي بن أبي كرم، الكامل في التاريخ، دار صادر ، بيروت، د.ت، ج 10 ، ص 196 ؛ أبي الفداء : عماد الدين إسماعيل بن علي ، المختصر في أخبار البشر ، تعليق محمود ديوب ، دار الكتب العلمية، بيروت ، 1997 ،ج 2 ،ص ص15 ، 16.

30- احمد: تاريخ صقلية،ص58.

31- أبي الفداء : المختصر ، 2/16 . إحسان عباس ، العرب في صقلية، دار الثقافة، بيروت،1975،ص129.

تصمد أمام الزحف النورماني، حيث وآصل رجار تقدمه إلى المدينة وأحتلها بعد فرار الحامية الإسلامية وعمل النهب والسلب في المدينة وسبى نساء وأطفال المسلمين[32] .

أتخذ النورمان من مدينة مسينة قاعدة لتحركاتهم العسكرية، ومنها وجهوا قواتهم لاحتلال مدينة بطرنو في مقاطعة قطانيه[33] التي استولوا عليها نتيجة لقلة تحصينها مما اثر على مقاومة أهلها، ولكنهم فشلوا في الاستيلاء على مدينة قصريانه وذلك لوجود ابن الحواس فيها من ناحية ومناعة حصونها من ناحية أخرى، ولهذا انسحبوا إلى مسينة واحتفظوا بها ، ومع هذا حاول النورمان في أواخر سنة 454هـالاستيلاء على مدن أخرى في الجزيرة وشنوا بالتعاون مع ابن الثمنه هجوما للسيطرة على بطرلية سنة 455هـ، وتركوا ابن الثمنه يواصل حملاته إلى أن قتل في إحدى معاركه، وبهذا فقد النورمان اخلص حليف لهم[34] ، أنشغل النورمان بعد ذلك بحل مشاكلهم الداخلية الناجمه عن الصراع بين راجار وأخيه جيسكارد على مقاطعة قلوريه في جنوب إيطاليا [35].بقي الحال كما هو عليه الى سنة 464هـ إذ أستأنفت الحملات النورمانديه على جزيرة صقلية وبالتحديد على مدينة بلرم ، إذ حاصر النورمان المدينة المذكوره بجيش قوامه عشرة الآف مقاتل بقيادة راجار من جهة البر أما من جهة البحر فقد كان روبرت جيسكارد على رأس الأسطول البحري، قاوم أهل المدينة النورمان مقاومة كبيرة، وأمطروا المهاجمين بوابل من النبال والحجارة[36] . ومع بداية سنة 465هـ، اشتد الحصار ومنع دخول المؤن إلى المدينة، مما اخل في التوازن وأثر ذلك في غلاء الأسعار وحدوث المجاعة، كل ذلك دعا بالاهالى إلى إرسال وفد للتفاوض بشأن تسليم المدينة، مقابل تعهد جيسكارد بالحفاظ على أمن السكان وممتلكاتهم، وتعهد كذلك باحترام ديانتهم وشرائعهم، وكل ذلك مقابل دفع الجزية السنوية، وهكذا سقطت مدينة بلرم حاضرة صقلية الإسلامية مدة قرنيين من الزمان بعد صمود دام خمسة أشهر[37]، ودخل الأخوان (روبرت جيسكارد ورجارلاول) مدينة بلرم، وبادرا إلى تحويل مسجدها الجامع إلى كنيسة وعلى اثر سقوط بلرم بيد النورمان تساقطت مدن صقلية الواحدة تلو الأخرى ولم يبقَ سوى مدن قليلة منها جرانيت الواقعة على الساحل الجنوبي ومدينة قصريانة بوسط الجزيرة فحاصرهما النورمان (وضيقوا على المسلمين بهما فضاق الأمر على أهلها حتى أكلوا الميتة ولم يبقَ ما يأكلونه فإما أهل جرجنت فسلموها إلى الإفرنج) [38] وذلك سنة 481هـ . وبقيت قصريانة تقاوم وحدها بقيادة أميرها أبي القاسم بن حمود ولمدة ثلاث سنوات اضطر أهلها بعد ذلك إلى التسليم (فلما اشتد الأمر عليهم وأذعنوا إلى التسليم، فتسلمها الفرنج) [39]، وذلك سنة 484هـ ، وفي السنة ذاتها استسلمت مدن أخرى وبذلك استولى النورمان على جزيرة صقلية من أيدي المسلمين بعد صمود دام ثلاثين عاماً (454هـ-484هـ) وربما يرجع سبب طول المدة لأكمالهم السيطرة عليها الى قلة عسكرهم وضعف أسطولهم من ناحية وانشغالهم بحروبهم ضد البيزنطيين في جنوب ايطاليا[40] من ناحية أخرى فضلاً عن المقاومة العنيفة من جانب المسلمين رغم الخلافات والفتن الداخلية وخيانة بعض القادة مثل ابن الثمنه . ويربط ابن الأثير[41] بين هذا الغزو وبين الهجوم الأوربي على بلاد الشام المعروف بالحروب الصليبية وكذلك قيام النصارى في الأندلس بما يسمونه بحرب الاسترداد فيقول: (كان ابتداء ظهور دولة الفرنج واشتداد أمرهم وخروجهم إلى بلاد الإسلام واستيلائهم على بعضها سنة ثمان وسبعين وأربعمائة فملكوا مدينة طليطلة وغيرها من بلاد الأندلس... ثم قصدوا سنة أربع وثمانين وأربعمائة صقلية وملكوها... ثم كان سنة تسعين وأربعمائة خرجوا إلى بلاد الشام)

---

[32] 32-59ص،تاريخ صقلية، احمد؛ 10/197 ،الكامل :ابن الأثير.

[33] 33- 4/370، معجم، التابعين من رجلاً قتل ثلاثين فيها وفيها قطانه الحموي ويسميها .

[34] 34- 60ص،تاريخ صقلية : احمد .

[35] 35- 60ص ، نفسه المصدر .

[36] 36 - Norwich. J.J,The Normans in the south, London,1981,PP178-179.

[37] 37 - Norwich, op.cit,p.p. 176,177,179,182.

[38] 38 - 2/16 ،المختصر : أبي الفداء ؛ 10/198 ،الكامل :ابن الأثير.

[39] 39- 98ص ، المؤنس : القيرواني ؛ 24/209 ،نهاية الأرب :النويري.

[40] 40 – 185ص،صقلية في العرب : عباس.

[41] 41 - 10/272 ،الكامل.

ونظراً لقلة عددهم وكثرة الأعداء من حولهم وبخاصة من جنوب ايطاليا، فقد أحسنوا معاملة المسلمين في الجزيرة لحاجتهم إلى خدماتهم، كما اعتمدوا عليهم في جيوشهم، واستفادوا من مهاراتهم في فنون الحرب كبناء أبراج الحصار المتحركة والمجانيق. ولما كان النورمان حديثي العهد بالحضارة فأنهم اعتمدوا على المسلمين في الإدارة والدواوين والأمور الأخرى وكذلك في إعمال البناء والتشيد وغيرها[42] .

رجار الثاني[43] (504-548هـ)

تولى رجار الثاني أمر صقلية بعد فترة من الوصاية لوالدته [44]، وكان أشهر ملوك النورمان، وذلك لأنه وحدَ ممتلكات النورمان في جنوب ايطاليا وصقلية واتخذ لنفسه لقب(ملك صقلية وايطاليا) وكان أبيه يحمل لقب (كونت)، وكان ذلك بعد نزاع مع البابا هنوريوس الثاني وحاجة الأخير لمساعدته ضد خصومه سنة 523هـ[45] اتبع رجار الثاني نفس السياسة التي أتبعها والده راجار الأول في معاملة المسلمين بجزيرة صقلية، وان كانت هذه السياسة قد تراوحت بين التسامح وبين فرض القيود والضغوط على المسلمين وفقاً للظروف التي مر بها رجار الثاني في الجزيرة، وهذه السياسة كانت من اجل مملكته حيث كانت الأخطار محدقة به من قبل البيزنطيين وأباطرة الإمبراطورية الرومانية من الخارج والإقطاعيين من الداخل، لذا فانه اتبع سياسة التوازن بين الطوائف والملل [46]، وعين العرب في المناصب السامية في دولته ولهذا وصف بأنه (سلطان عربي يحمل تاجاً لملوك الإفرنج)[47]، وكان بلاطه يتميز بوضوح المؤثرات الإسلامية فيه، وذلك لان الحضارة الإسلامية كانت غالبة على الجزيرة، وفي ظلها وجد رجار وحلفائه أنفسهم يقتبسون منها الكثير، وذكر ابن الأثير[48] ذلك فيقول إن رجار الثاني سلك(طريق ملوك المسلمين من الجنائب[49] والحجَاب، والسلاحية[50]، والجا نداريه[51]، وغير ذلك، وخالف عادة الفرنج فانه لايعرفون شيئاً منه، وجعل له ديوان ترفع إليه شكوى المظلومين، فينصفهم ولو من ولده...) ، وتشبه راجار بالخلفاء المسلمين في بغداد والقاهرة فكان يرتدي العباءة الإسلامية المطرزة بالكتابات العربية فضلاً عن أتقانه اللغة العربية [52]، وكان راجار يثق بالمسلمين لدرجة أن أغلب عناصر جيشه وأسطوله أعتمدت عليهم بالدرج الأساس ، وقد حقق راجار بهم أنجازات باهرة في حملاته الإيطالية [53] وكان الرخاء الاقتصادي بفضل التجار العرب، في حين كانت الخزانة تحت أدارة عربية فضلاً عن ذلك كانت اللغة العربية إحدى لغات الدولة الثلاث (العربية واللاتينية والإغريقية) [54] ونتيجة لأقتراب رجار الثاني من المسلمين فقد جعل الناس يعتقدون بأنه كان مسلماً في السر ، ودفعاً للظن

---

42 الطيبي : دراسات،ص45 – 42.

43 رجار الثاني (504-548هـ) أشهر حكام صقلية في عهد النورمان وأبرزهم، تميزت سياسته بالتسامح نسبيا مع مسلمي صقلية وهي استمرار لسياسة أبيه رجار الأول (ت 494هـ)، واستلم الحكم من أمه سنه 504هـ/ والتي كانت وصية عنه. احمد، تاريخ صقلية ، ص64؛ Simith, D, M, Medieval Sicily, 1969 , London, p.24

44 بعد وفاه رجار الأول سنة 494هـ تولت زوجته الكونتيس أدبليد الوصاية على ابنها لمدة عشرة سنوات(494-504هـ) حيث حكمت صقلية باسم ولدها رجار الثاني حتى سنة 504هـ) وأصبحت بلرم مقراً للحكومة، احمد، تاريخ صقلية،ص64.

45 مؤنس: تاريخ الجغرافية والجغرافيين في الأندلس، المعهد المصري للدراسات الإسلامية،مدريد،1967 ، ص178 -45.

46 الطيبي : دراسات، ص ص 48-49 -46 .

47 أبن جبير : رحلة ، ص 297 ؛ مورينو: المسلمون في صقلية ، ص22 -47.

48 أبن الأثير : الكامل ، 10/198 -48.

49 الجنائب: الفرسان - 49.

50 السلاحية: المفرد سلاحي : الموكلون بأسلحة السلطان -50.

51 الجاندارية: حرس الأمير وأعوانه-51.

52 توفيق، عمر كحاله ، المجتمع العربي في بلرم، مجلة عالم الفكر، مجلد 14، العدد/4، الكويت، 1984، ص101 -52.

53 النويري : نهاية الأرب ، 24/209 ؛ أبو الفداء : المختصر ، 2/ 16؛ أحمد : تاريخ صقلية ، ص81 -53.

54 54- Norwich.J.J,The King dom in The Sun,London,1976,p.158.

عن نفسه إمام أعدائه، اقبل رجار على تشييد الكنائس[55] بل بدأ بأغراء المسلمين واليهود على التنصر[56] وقد يكون تغير رجار في أواخر أيامه تجاه المسلمين في صقلية بسبب ظهور الموحدين كقوة كبيرة في المغرب، مما هدد مواقع النورمان على الساحل الإفريقي بل وحتى وجودهم في صقلية[57] .

وليام(غليام) الأول(548-561هـ)

خلف وليام الأول أبيه (راجار الثاني) في الحكم، وان كان اقل نشاطاً من والده ، وفي بداية حكمه احتل البيزنطيون بعض المناطق، وزحفت قوات البابا ضده، وثار عليه إتباعه الإقطاعيون، إلا إنه نجح في إخضاع الثائرين سنة 551هـ واسترد المدن التي احتلها البيزنطيون، واضطر البابا هادريان الرابع إلى التعامل معه، واقره في ممتلكاته الصقلية والايطالية[58] .ورغم أخلاص المسلمين للملك فأنهم تعرضوا إلى الاضطهاد وخاصة في الفترة الممتدة بين عامي (551-555هـ) على أثر انتصار الموحدين على النورمان ومن ثم إخراجهم من مدن الساحل الإفريقي، وصادف ذلك مع ثورة[59] قام بها النبلاء ضد الوزير مايو[60] ، حيث جرَد المسلمون في بلرم من السلاح من باب الحيطة، وهذا ما جعلهم لقمة سائغة لخصومهم، فقد قتل كثير منهم في إحياء بلرم ومن كان في الدواوين أو في الشوارع والحوانيت ونزعوا الأكفان عن جثث الموتى[61]، ولم يراعوا في قتلهم عمراً أو جنساً ولهذا لجأوا إلى الغابات والجبال للاختفاء عن أنظار المسحيين وبعضهم لجأ إلى قلعة في جنوبي صقلية يسكنها عدد من المسلمين[62] . ولم يكن المسلمين في الأرياف أحسن حالاً، إذ تعرضوا هم كذلك للقتل من قبل نبلاء النورمان ومن نجا منهم فقد لبس زي النصارى، ولما استرد الملك زمام الأمور وقمع الثورة، اتخذ إجراءات شديدة لنصرة المسلمين ومعاقبة الثائرين[63]، ويبدو إن العداء الذي دب بين المسلمين وغيرهم في صقلية يعود إلى أمور عدة منها:-

1- كثرة عدد اللمبارد الذين فروا من ايطاليا للاستقرار في الجزيرة وكان مبعثة التعصب الديني.
2- الغيرة التي تولدت بين الطرفين إذ تقلد المسلمين المناصب العليا في القصر فضلاً عن نشاطهم التجاري.
3- كان الإقطاعيون يحاولون توسيع ممتلكاتهم بانتزاع المزيد من الأراضي من أيدي المسلمين بحجة أنها كانت للنصارى[64] .
4- ظهور قوة الموحدين وخشية النصارى من تنسيق مسلمي صقلية معهم لإعادة السيادة الإسلامية على الجزيرة[65].

وهكذا نجد فترة حكم وليام الأول كانت تختلف عن الفترات السابقة من حكم النورمان، حيث تعرض المسلمون إلى القتل والتشريد للأسباب التي ذكرناها سابقاً.

وليام(غليام)الثاني:(562-585هـ)

---

[55] . شيد رجار الثاني اثرين دينيين كبيرين هما الكنيسة الملكية في القصر والكاتدرائية في مدينة جعلوذي، احمد، تاريخ صقلية، ص68 -55

[56] . مؤنس: تاريخ،ص ص182-183 -56

[57] . الطيبي: دراسات، ص50 -57

[58] .احمد: تاريخ صقلية،ص ص68-69 -58

[59] قام النبلاء وعناصر أخرى بثورة ضد الوزير مايو وزير وليام الأول وكانت نتيجتها القضاء على مايو سنة 557هـ ، بل قبضوا على الملك نفسه، -59 ولكنهم أفرجوا عنه تحت ضغط الشعب والكنيسة، وكانت أسباب الثورة هي ما قام به مايو في فرض ضرائب وتقييد لحريات النبلاء فضلاً عن إبعادهم عن المشاركة في الحكم. وكان وليام الأول قد زاد من نفوذ مايو وأعطاه سلطات كثيرة. احمد، تاريخ صقلية،ص69.

[60] وهو وزير الملك وليام الأول وكان واسع السلطات وهو زعيم حزب القصر الذي ناصره الكثير من المسلمين ، قتل سنة 557هـ، بعد maio مايو -60 . قيام ثورة ضده، الطيبي، دراسات، ص50

[61] 61- Daniel.N,The Arabs and Mediaeval Europe,London,1975,p p.149-150; احمد ، تاريخ صقلية،ص69؛ عباس، العرب في صقلية، ص149.

[62] عباس : العرب في صقلية،ص149. وهي الثورة الأولى من نوعها في العهد النورماني وكان من بين ضحايا هذه الثورة الشاعر القفصي يحيى بن -62 التيفاشي وكذلك الإدريسي.

[63] الطيبي: دراسات، ص51 -63.

[64] 64- Danicl ,Op. cit , p 151.

[65] الطيبي: دراسات، ص51 -65.

تولى وليام الثاني الحكم بعد أبيه (وليام الأول) وذلك سنة 562هـ ولكنه كان في الثالثة عشر من عمره ولهذا تولت أمه الوصاية عليه لمدة خمس سنوات ولم يباشر بالحكم إلا في سنة 567هـ[66] . وكان محبوباً من النصارى ولهذا أطلقوا عليه لقب: (الطيب)، ولعل رضاهم يرجع إلى موقف هذا الملك من رعاياه المسلمين والى نشاطه في محاربتهم في المغرب والمشرق، فقد ارسل عدة حملات عبر البحر المتوسط لمحاربتهم [67] كان وليام الثاني يفتقر إلى النشاط الذي تميز به النورمان في عهد والده، فلم يقم بقيادة قواته شخصياً واتجه إلى الراحة، ومع هذا كان سياسياً ثاقب الري وكان ملماً بالعربية فضلاً عن اهتمامه بالعلوم والمعارف العربية الإسلامية ولا سيما في مجال الطب والفلك، وتميز حكمه بالهدوء والسلام في الداخل[68] .

تانكريد(586-591هـ)

لم يخلف وليام الثاني عقباً، ولهذا أوصى بان تخلفه على عرش صقلية عمته كونستانس[69] (Constance) زوجة الأمبراطور الأماني هنري السادس، إلا إن النبلاء في صقلية اختلفوا فيما بينهم وانقسموا إلى ثلاثة أحزاب، وفي سنة 586هـ قام المستشار مايثو من اجيلو بتنصيب تانكريد[70] على عرش صقلية[71]، وهذا يعني انتصار الحزب الذي يرفض الألمان ويمنع وصولهم إلى الحكم عن طريق كونستانس ويبدو كذلك إن الألمان غير مرغوبون بهم في صقليه وكان تانكريد شديد التعصب ضد المسلمين وله تاريخ في شن الحملات ضدهم[72]، ولهذا اعدوا العدة للثورة عليه والتي أشغلته بعض الشئ، فقد انتظم المسلمون الذين اتجهوا إلى المناطق الجبلية ووحدوا صفوفهم وانضم إليهم عبيد الأرض لدى النبلاء وصار عددهم في غرب الجزيرة بحوالي مائة إلف من الرجال والنساء، ولكن مصير هذه الثورة كان الفشل وقد عدت بداية النهاية لوجود المسلمين في صقلية[73]، ومع هذا هنالك أسباب أخرى أنهت الوجود العربي في صقلية منها:-

1- محاولة تانكريد كسب الرأي العام النصراني داخل الجزيرة وخارجها وذلك بالضغط على المسلمين وتقييدهم.
2- الإخطار الخارجية المحيطة بتانكريد من جهة الألمان من ناحية والموحدين من ناحية أخرى[74]، وخوفه من محاولة تعاون المسلمين في صقليه معهم ولهذا وكإجراء وقائي حاول الضغط على المسلمين في محاولة لاجلاءهم من الجزيرة وأخيراً كان تانكريد ملماً باللغة اليونانية، كما انه كان متمكناً من الثقافة العربية والبيزنطية[75]وبعد وفاة تانكريد سنة 591هـ خلفه ابنه وليام الثالث وكان يجسد وصاية والدته سبيلا وفي هذا الإثناء زحف الإمبراطور الألماني هنري السادس جنوباً واستولى على الجزيرة سنه 591هـ مستغلاً المعاهدة التي كانت بينه وبين المدن اللمباردية وبمساعدة أسطولي جنوه وبيش[76] . وبذلك أسدل الستار عن حقبة الحكم النورماندي لجزيرة صقلية.

أوضاع المسلمين في صقلية:

بعد استيلاء النورمان على جزيرة صقلية ساد الجزيرة الهدوء لمدة عشر سنوات (484-494هـ) وأبدى (رجار الأول) تسامحا مع مسلمي صقلية ويمكن القول إجمالاً بان المسلمين الذين عاملهم رجار بتسامح ظلوا مطيعين له، وكان العنصر الإسلامي

---

[66] 66- 53 ص، دراسات، الطيبي: 70ص؛ صقلية، تاريخ : احمد.

[67] 67-أرسل وليام الثاني للفترة من (570-574هـ) عدة حملات ضد سواحل مصر ولكن دون جدوى لوجود صلاح الدين الأيوبي وفشلت حملة على (الجزائر سنة (576-577هـ Daniel, op ,cit, p152 .

[68] 68- 54 ص، دراسات، الطيبي: 71ص؛ صقلية، تاريخ: احمد.

[69] 69- 71 ص، صقلية، تاريخ احمد، ،الثاني رجار ابنة ابنتانا اوكونستانس والتي تزوجت من الإمبراطور الألماني هنري السادس، كونستانس.

[70] 70- 72 ص، صقلية، تاريخ احمد: ،الثاني رجار صاحب بوليه وهو حفيد رجار صاحب ليتشي وهو ابن غير شرعي للدوق تانكريد.

[71] 71- 59 ص، دراسات، الطيبي: .

[72] 72- قاد تانكريد غارات 556هـ ضد المسلمين في جنوب شرقي الجزيرة ولهذا تشاءم منه المسلمون عند توليه الحكم بتأييد من أعدائهم النبلاء ، الطيبي، 59 ص، دراسات .

[73] 73 - Ahmad.A,A History of Islam is Sicily , Edinburgh, 1975,P.61,72 ص، صقلية، تاريخ احمد، .

[74] 74 – 60 ص، دراسات، الطيبي: .

[75] 75- 72 ص، صقلية، تاريخ أحمد:.

[76] 76- 72 ص، نفسه المصدر.

في جيشه بارزا[77]، وكان النورمان أقلية بالنسبة للعرب الموجودين في الجزيرة، ولهذا السبب استعمل رجار الأول القوات العسكرية الإسلامية للاستفادة منها في فنون الحرب والقتال وتمت الأستعانة بالمسلمين وخبراتهم إذ عمل المهندسون العسكريون المسلمون في خدمة النورمان وصنعوا لهم أبراجا ومجانيق متحركة ليستعملوها في عمليات الحصار [78]، وعلى أية حال سرعان ما أنضجت سياسة النورمان في إيجاد مناخ من التسامح والتواجد للمسلمين في ظل الحكم النورماني، فقد حرص رجار الأول على كسب مشاعر المسلمين وخاصة أهالي المدن فكان من مصلحة رجار الأول إن يستميل المسلمين ليساندوه ضد النبلاء من النورمان إذا ما حاولوا الخروج عن الطاعة، كما كان يحدث كثيرا للملوك في بعض مماليك أوربا التي تفشّي فيها نظام الإقطاع آنذاك وكان إفراد البيت النورماندي الحاكم انتهازيين إلى ابعد حد، فقد أحسنوا معاملة المسلمين طالما كان ذلك في مصلحتهم الشخصية [79]، ومع ذلك فان رجار الأول بادر إلى تحويل مسجد بلرم إلى كنيسة وكذلك فعل ببعض المساجد بالمدينة وهذا موجز للرحمة التي كانت أوربا تقدمها دائما للعرب، فهي مشروطة بالقضاء على دينهم وفي عزلهم ليكونوا جماعة ذات كيان منفصل [80].أما من الناحية الاقتصادية فقد كان لاستيلاء النورمان على صقلية أثره السيئ على أوضاع المسلمين الاقتصادية والمعيشية، حيث دمرت القرى والمزارع على نطاق واسع في صقلية أثناء القتال، وفرض على المسلمين دفع الجزية مرتين في العام مثل اليهود، مما أدى إلى هجرة إعداد كبيرة منهم إلى افريقية. وقد أدخل النورمان النظام الإقطاعي إذ منح رجار الأول الفرسان والكنيسة أراضي واسعة كانت للمسلمين واتخذ الإقطاعيون المسلمين عبيد لهم في أرضيهم، إما أهل المدن فكانوا أحسن حالا من إخوانهم في الأرياف وذلك بموجب اتفاقيات حفظت لهم حقوقهم المدنية والدينية ولو إلى حين[81].

ورغم أكثرية السكان في الجزيرة من المسلمين، فان النورمان حاولوا تغيير التركيبة السكانية على حساب المسلمين وذلك بعد هجرتهم إلى افريقية الزيرية والى الأندلس والمشرق الإسلامي، حيث جاءت جماعات من النورمان من شمال غرب فرنسا فضلا عن جماعة من جنوب ايطاليا واثر هؤلاء في الحياة العامة حيث تحمل منهم المسلمين أنواع الاضطهاد والعذاب طوال الحكم النورماندي وذلك لتعصبهم الشديد لدينهم ضد المسلمين[82].

العلاقة بين الدولة النورمانية وافريقية(تونس)

أ- العلاقة مع بني زيري

لم يكن الوضع في افريقيه أحسن حالاً من الوضع في صقلية اذ شهد المغرب العربي حالة من الفوضى والانقسام السياسي نتج عنها قيام كيانات سياسية صغيرة ناصبت العداء بعضها للبعض الاخر، فضلا عن انفصال بني حماد عن الدولة الزيرية واستقلالهم بحكم المغرب الأوسط حدود سنة 395هـ[83] كذلك استطاع بنو خزرون المغراويين ان يقيموا كيان سياسي لهم في مدينة طرابلس الغرب حدود سنة 391هـ مستفيدين من الصراع السياسي الدائر بين بنو زيري والفاطميين على هذه المناطق[84] ومما زاد الطين بلة هو هجرة القبائل الهلالية الى المغرب العربي حدود سنة 443هـ، بامر من الخليفة الفاطمي المستنصر بالله والتي جاءت كرد فعل على انفصال المعز بن باديس امير الدولة الزيرية عن الدولة الفاطمية

---

[77] 77- أبن الأثير : الكامل ، 10/198 ؛ أحمد : تاريخ صقلية ، ص 24 -.

[78] 78- توفيق: المجتمع العربي ، ص1102 -.

[79] 79- Daniel, op , cit , p.153 .

[80] 80- Ahmad , op ,cit , p.65.

[81] 81- الطيبي : دراسات ، ص47 -.

[82] المصدر نفسه، ص ص47-48-82.

[83] 83- عويس : عبدالحليم ، دولة بني حماد ، دار الشروق ، القاهرة ، 1980 ، ص56-62 -.

[84] 84- روسي : اتوري ، ليبيا ، منذ الفتح العربي حتى سنة 1991 ، ترجمة خليفه محمد التليسي ، بيروت ، 1974 ، ص77 ؛ نصر الله : سعدون ، تاريخ العرب السياسي في المغرب ، دار النهضة ، بيروت ، 2003 ، ص235 ؛ عبدالحميد : سعد زغلول ، تاريخ المغرب العربي ، القاهرة ، 1990 ، 3/12 ؛ الطيبي : أمين توفيق ، بنو هلال ودورهم في الجهاد في أفريقيه والأندلس ، مجلة البحوث التاريخية ، مركز الجهاد الليبي ، 1981 م ، العدد الأول ، ص 9 ؛ الكعبي : هاشم ناصر ، المنصوري الموحدي ، رسالة ماجستير غير منشوره ، كلية الآداب ، جامعة بغداد ، 1994 ، ص56-62.

واعلانه الولاء للعباسيين في بغداد[85].شارك الهلاليون ال زيري في حكم المغرب الادنئ (أفريقيه) ولم يبق بيد الدولة الزيرية من الاراضي سوى المهدية التي انتقلوا اليها من القيروان والشريط الساحلي الذي يضم صفاقس وقابس وجزيرة جربه وتحالف كل من الهلاليين وبني حماد ضد بني زيري[86] كذلك فأن الهجرة الهلالية الى المغرب أحدثت حاله من الاضطراب السياسي والاقتصادي في افريقية والمغرب الاوسط عموماً[87] في هذه الاثناء وجد النورمان ان الفرصة مؤاتية للقيام بحملة عسكرية كبيرة لفتح جزيرة صقلية مستفيدين من حالة الانقسام التي كانت تعيشها الجزيرة المذكورة بسبب الصراع على السلطة بين ابن الثمنة وابن الحواس فضلاً عن استنجاد ابن الثمنة بالنورمان من اجل التخلص من خصمة [88] وبالفعل اعد رجار الاول وبالتعاون مع أبن الثمنه سنة 444هـ حمله كبيرة لاحتلال جزيرة صقلية وأستولى على العديد من ا لمناطق وتوجه راجار بعد ذلك نحو قصر يانه الذي تحصن به أبن الحواش ، إلا أنه لم يتمكن من دخول الحصن المذكور بسبب المقاومة الكبيرة التي أبداها أبن الحواش [89]، أثارت تحركات رجار الاول هذه حفيظة الامارة الزيرية في افريقية، وعلى الرغم من ان الحاكم الزيري تميم بن المعز بن باديس (445 – 501)هـ كان مشغولاً في ذلك الوقت بوصول الهلاليين الى بلاده فقد عز علية ان تضيع صقلية من ايدي المسلمين من ناحية، كما انها ستكون معبراً للنورمانديين الى شمال افريقيا من ناحية أخرى ، وتهديد ممتلكات ال زيري في هذه المنطقة لذلك جمع عدد من السفن وابحر بأسطوله من المهدية الى صقلية الا ان عاصفة عاتية دمرت كثير من سفنه ومع هذا ارسل تميم اسطولاً اخر بقيادة ولدية (ايوب وعلي) [90].استقبل اهل صقلية النجدة الزيرية بالسعادة والفرح واستطاع ايوب وبمساعدة ابن الحواس ان يسيطر على اجزاء واسعة من مدينة بلرم وان يكون القائد العسكري الرئيسي في الجزيرة ليأخذ على عاتقه فيما بعد التصدي للغزو النورماندي [91].الا ان طموحات ايوب هذه اصطدمت بعقبات كبيرة فقد نشب خلاف بين الحملة العسكرية القادمة من افريقية ومسلمي صقلية نتج عنها مقتل ابن الحواس وسيطرة ايوب على مدينة بلرم بالكامل [92] وبمقتل ابن الحواس فقد المسلمين في صقلية قائداً شجاعاً

85- أبن عذارى : أبو العباس أحمد ، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب ، ط2 ، دار الثقافة ، بيروت ، 1980، ج1 ، ص 128؛ نصر الله : سعدون ، تاريخ العرب السياسي في المغرب ، دار النهضة ، بيروت ، 2003 ، ص235 ؛ عبدالحميد : سعد زغلول ، تاريخ المغرب العربي ، القاهرة ، 1990 ، 3/12 ؛ الطيبي : أمين توفيق ، بنو هلال ودورهم في الجهاد في أفريقيه والأندلس ، مجلة البحوث التاريخ ، مركز الجهاد الليبي ، 1981 م ، العدد الأول ، ص 9 ؛ الكعبي : هاشم ناصر ، المنصوري الموحدي ، رسالة ماجستير غير منشوره ، كلية الآداب ، جامعة بغداد ، 1994 ، ص56-62.

86- سالم : السيد عبدالعزيز ، المغرب الكبير ، دار النهضة ، بيروت ، 1981 ، 2/673.

87- عبدالوهاب : حسن حسني ، وريقات عن الحضارة بافريقيه التونسية ، ط2 ، مكتب المنار ، تونس ، 1972 ، 2/416-87.

88- أبي الفداء : المختصر ، 2/15 ؛ القيرواني : المؤنس ، ص ص 88،89-88.

89- النويري: نهاية الأرب ، 24/280 .

90- أبن الأثير : الكامل ، 10/208، 209 .

91- أحمد : تاريخ صقلية ، ص 60 .

92- النويري : نهاية الأرب ، 24/209 .

93- أحمد : تاريخ صقلية ، ص 60 ,.

94- Norwich. Op, cit , p176, 177

95- أحمد : تاريخ صقلية ، ص62.

96- أبن الأثير : الكامل ، 11/145 .

97- سالم : المغرب الكبير ، 2/673 .

98- الغنيمي : عبدالفتاح مقلد ، موسوعة المغرب العربي ، مكتبة مدبولي ، القاهرة ، 1994 ،ج 1 ، ص77 .

99- أحمد : تاريخ صقلية ، ص65.

100- هو رافع بن مكي بن كامل بن جامع الرياحي ، أستلم الحكم بعد أبيه مكي. ينظر التجاني : عبدالله ، رحلة التجاني ، تحقيق ، حسن حسني عبد الوهاب ، ط 2 ، الدار العربية للكتاب ، ليبيا – تونس ، 1981 ، ص97-98.

101- تمكن رافع بن مكي من بناء نواة لأسطول بحري ، وحرص على بناء سفينة ضخمة بساحل قابس ، وكانت هذه السفينة سبباً في أشعال نار الفتنة بن علي بن يحيى وبين رافع حتى وجد علي في أسطول رافع خطراً عليه حيث سيشاركه البحر فقال (لايكون لأحد من أهل أفريقية أن يناوئني في أجراء المراكب في البحر) التجاني : رحلة ، ص95.

102- رحلة ، ص98.

103- المصدر نفسه ، ص 99.

104- سالم : السيد عبدالعزيز وأحمد مختار العبادي ، البحرية الإسلامية في المغرب والأندلس ،دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، بيروت ، 1969م، ص221.

105- كان النفط قد أكتشف في جزيرة صقلية في بلدة لياج على ساحل صقلية الشرقي ويقول القزويني (أنها أبار ثلاث يخرج منها من أول ربيع الى أخره زيت النفط). القزويني : زكريا بن محمد ، أثار البلاد وأخبار العباد ، د. م ، د. ت ، ص216.

106- التجاني : رحلة ، ص 99.

107- الكامل : 10 /529 ، 530.

108- البيان ، 1 /307 .

109- أجتمع شيوخ دهمان وقرروا أقتسام البلاد ومن ثم تسليم الأمارة في القيروان الى رافع . ينظر : أبن خلدون : عبدالرحمن بن محمد ، العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاشرهم من ذوي السلطان الأكبر ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 2006 ، 6/197.

110- الأمير ميمون بن زياد الصخري من أمراء العرب ، ويرتبط مع علي بصداقة قوية . أبن خلدون : العبر ،6/197.

111- أبن خلدون : العبر ، 6/197.

112- الكامل : 10/530.

113- أستقرت في المهدية بعثة تجارية وذلك قبل وفاة يحيى بن تميم سنة 509 ، حين قامت سفن الطرفين برحلات ودية لأغراض تجارية عبر البحر . norwich. Op. cit. p.294

114- البيان ، 1/307.

115- المؤنس : ص91.

116- المصدر نفسه ، 92.

117- وهو الفونس السابع ملك قشتالة، وكان رجار الثاني قد تزوج من ابنته جلويرة Norwich, op, cit. P297.

118- (يبدو إن جورج الإنطاكي كان القائد العام للأسطول ويساعده عبد الرحمن بن عبد المعروف بـ(كريستوولوس Norwich, op, cit. ,P297.

119- أبن الأثير : الكامل ، 10/612.

120- وهي جزيرة على بعد (10) أميال من المهدية، التجاني، رحلة، ص335- 336.

121- استولى النورمان في (2) جمادي الآخرة على قصر الديماس بعد حصار دام ستة عشر يوماً. ابن عذارى، البيان، 1/309.

122- استعان الحسن بن علي بالقبائل العرب الهلالية فقدموا افواجاً بنية خالصة في الجهاد ، حيث ضربوا خيامهم قرب المدينة، وأخذت كل الاحتياطات لمواجهة هذا الهجوم الغاشم، ويذكر لنا شاعره ابن حمديس اسم قائده أبي إسحاق إبراهيم فيقول:

وقائدك الشهم الذي كان بينهم صبيحة لاقاهم علي يده النصر

روا بأبي إسحاق سحقاً لجمعهم فايرا مهم نقص ونظمهم نثر

ابن حمديس: عبد الجبار، ديوان ابن حمديس، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1960م، ص254.

123- التجاني : رحلة، ص336؛ ابن عذارى، البيان، 1/309.

124- ابن حمديس: ديوان ابن حمديس، ص254.

125- يحيى بن المعز بن باديس بن المنصور بن الناصر بن علنّاس بن حماد صاحب بجاية. التجاني، رحلة، ص339.

126- الكامل ، 10 / 491 .

127- تحالف رجار الثاني مع ريموند الثالث كونت برشلونة والفونس السابع ملك قشتالة وهم يشنون حربا صليبية على المسلمين في الأندلس وبالفعل اخذ ملك قشتالة رجار بأسطول كبير تولى جورج الإنطاكي قيادته، للمزيد ينظر: مؤنس، حسين، معالم تاريخ المغرب والأندلس، القاهرة، 1982م، ص372 وما بعـدها؛ Norwich,J,J, op. cit ,P.297 .

128- روسي : ليبيا ، ص29.

129- ظل الذهب السلعة السودانية المهمة لدى سلع الساحل الإفريقي وغيرهم لقرون عديدة، وذكر المسعودي أن هذه التجارة تم تبادلها بالسلع المجلوبة من الشمال، إخبار الزمان ومن أباده الحدثان وعجائب البلدان والغامر بالماء والعمان، مطبعة عبد الحميد احمد حنفي، القاهرة، 1938م، ص65.

130- وهي التجارة الثانية بعد الذهب من حيث الأهمية، وكان تجارها يكسبون الإرباح الطائلة من هذه التجارة لتفاوت الأسعار ما بين الشراء والبيع في المغرب، الوزان، الحسن بن محمد ، وصف أفريقيا، ط2، بيروت، 1983، 169.

131-Smith, op.cit. ,p133-134 .

كان ذهب افريقية يدعم النقد في صقلية ، ولأجله ظهرت العملة المعروفة بـ(دوقة) نسبة إلى (دوق) أي أمير وهو لقب رجار الثاني قبل تسميته بالملك. Smith, op. cit ,p.29 -132 -30.

133- . Smith, op.cit .29 -30 مورينو، المسلمون، ص20؛

134- البرغوثي : عبد اللطيف محمد، تاريخ ليبيا الإسلامي من الفتح الإسلامي حتى بداية العصر العثماني، دار صادر، بيروت، 1967، ص173.

135- عباس : إحسان، تاريخ ليبيا منذ الفتح حتى مطلع القرن التاسع الهجري، دار صادر، بيروت، 1967م، ص173.

136- ابن الأثير، الكامل، 11/32. نحو قوله(فلا يدخلون تحت طاعة سلطان).

137- التجاني، رحله، ص125. وهو علي بن يحيى.

138- التجاني: رحلة، ص ص125-126.

139- الكامل: 11/32.

140- التجاني: رحلة، ص ص125-126.

141- المؤنس: ص93.

142- Idris.H.R , La Barberia Orientale sous les Zirides, Paris, 1959,2Lp.345-346 .

143- يذكر أبو شامة إن الفرنج الصليبيين استولوا على مركبين في طريقهما من مصر إلى الشام، وكان على ظهرهما أمتعة تشمل (عدد من الأثواب السوسية). أبو شامة، عبد الرحمن بن إسماعيل، كتاب الروضتين في إخبار الدولتين النورية والصلاحية، القاهرة، 1962م، 1/517.

144- Goiteim.S.D,((Medieval Tunis ia the hub of the meditie- rranean)) in Studies in Islamic History and Institions,London, 1966.p 324 .

145- أبن الأثير : الكامل ، 92،11/91.

146- المصدر نفسه ، 11/106.

147-93، المؤنس.

148- مؤلف مجهول : الاستبصار في عجائب الأبصار ، تحقيق الدكتور سعد زغلول عبدالحميد ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، د.ت ، ص104.

149- تمركز بنو عمومتهم أل حماد في المغرب الأوسط وآخذو يثيرون الفتن والقلاقل من حين لأخر، بالإضافة إلى خوفهم من سيطرة قوة معادية على طرابلس وهذا ما حدث سنة 541هـ/1146م حين احتلها النورمان.

150- مفردها رباط والجمع ربط (فهو دار يسكنها أهل طريق الله. وهو بيت الصوفية ومنزلهم ولكل قوم دار والرباط دارهم). المقريزي، تقي الدين احمد بن علي، خطط المقريزي، دار التحرير للطبع والنشر، 1967، 3/422-423.

151- المراكشي : عبدالواحد ، المعجب ،في تلخيص أخبار المغرب ، ط1 ، تحقيق محمد سعيد العريان ، محمد العربي العلمي ، مطبعة الأستقامه ، القاهره ، 1947 ، ص347.

152- ابن غلبون : أبو عبد الله محمد بن خليل، التذكار فيمن ملك طرابلس وما كان بها من الإخبار، تصحيح وتعليق: الطاهر الزاوي، ط2، طرابلس، 1967م، ص50.

153- عباس : تاريخ ليبيا، ص247.

154- ابن الأثير: الكامل، 11/ 91، 92؛ ألبرغوثي: تاريخ ليبيا، ص363.

155- الكامل، 11/91، 92.

156- أسرة طرابلسية قربها حاكم طرابلس محمد بن خزرون بعد استلامه الحكم سنة 488هـ/1067م وأخذت بالعمل السياسي إلى جانبه واستطاعت إن تسيطر على الأمور في المدينة مستغلة ضعف بني خزرون لدرجة أنها إزاحتهم وصاروا هم حكام المدينة. الطرابلسي، احمد بك الأنصاري، المنهل العذب في تاريخ طرابلس الغرب، لندن، 1984م ، ص119؛ عباس: ليبيا، ص137.

157- سالم : البحرية، ص216.

158- ابن الأثير، الكامل، 11/100.

159- التجاني: رحلة، ص241.

160- ابن الأثير: الكامل، 11/108 ، 109.

161- المصدر نفسه ، 11/108؛ الطرابلسي: المنهل العذب ، ص123.

162- المصدر نفسه ، 11/ 108 ، 109 .

163- الطرابلسي : المنهل العذب، ص123.

164- التجاني : رحلة، ص242؛ روسي، ليبيا، ص88.

165- التجاني : المصدر نفسه ، ص339.

166- المصدر نفسه ، ص 339.

167- أحمد : تاريخ صقلية ، ص 66.

168- المؤنس ، ص92.

169- Norwich , op .cit , p.154

170- دامت تبعية طرابلس للنورمان حوالي أثني عشر عاماً (541 -553هـ) وكان يتولى شؤونها أبو يحيى بن رافع بن مطروح التميمي. التليسي : خليفة محمد ، حكاية مدينة ، الدار العربية للكتاب ، تونس ، 1974 ، ص 48.

171- الحسن بن علي بن يحيى بن تميم بن معز بن باديس الصهاجي. ابن الأثير، الكامل، 11/ 126.

172- عن تفاصيل الموضوع ينظر: ابن الأثير، الكامل، 11/ 120 ؛ أبن خلدون : العبر ، 6 /197.

173- Norwich, op. cit, p.153-154 .

174- في حين يذكر التجاني إن أرشيد صاحب فاس هوا لذي عين ولده (محمد) من بعده في حكم صفاقس وقد استبد مولاه يوسف بالأمور، وعندما خرج محمد بن رشيد يوماً لمحاربة عدو له بعد إن ترك ولده الصغير نائباً عنه، ثار عليه يوسف وطرد ولده واتصل برجار الأول في صقلية وطلب منه الإمامة والخلع فأرسل رجال الخلع والعهد مرحباً بطاعته واحتماءه، رحله، ص100.

175- ابن الأثير، الكامل، 11/120.

176- المصدر نفسه ، 11/120.

177- المؤنس ، ص94.

178- أبن الأثير : الكامل ، 11/120.

179- op. cit , p .154. Norwich,

180- جزيرة في بحر الروم بين المهدية وصقلية فتحها المسلمون في أيام معاوية وبقيت في أيدهم إلى أيام عبد الملك بن مروان، الحموي، معجم البلدان،4/413.

181- ابن الأثير: الكامل ، 11 / 125 ،126.

182- لمصدر نفسه ، 11/ 125 ،126 .

183- المصدر نفسه، 11/ 125 ،126

184- التجاني : رحله، ص34.

185- أبن خلدون : العبر ، 6/199.

186- التجاني : رحلة، ص75؛ ابن خلدون، العبر، 6/199 مع شي من الاختلاف.

187- ابن الأثير: الكامل، 11/203 ، 204.

188- المصدر نفسه ، 11/203 ، 204؛ التجاني : الرحلة، ص257.

189- خلف رجار لثاني ابنه وليام (عليالم)الأول للمدة(549-562هـ) كان نشطا ولكنه سلم أموره إلى وزيره ليدير أمور دولته، احمد : تاريخ صقلية، ص68.

190- أبن الأثير : الكامل ، 11 /204 .

191- التجاني : رحلة ، ص75 ،76.

192- أبن الأثير الكامل : 11 /204.

193- وهي مدينة بافريقية بناها المهدي عبيد الله وهي بجوار المهدية، حيث سكن هو وحاشيته المهدية وسكنهم في زويلة عنها ينظر الحموي، معجم البلدان ، 3/160.

194- أبن الأثير : 11 /205.

195- السلاوي : أبو العباس أحمد بن خالد ، الأستقصا لأخبار دول مغرب الأقصى ، تحقيق جعفر الناصري ومحمد الناصري ، دار الكتب ، الدار البيضاء ، 1954 ، ج2 ، ص137.

196- أبن الأثير : الكامل 11/ 203.

197- التجاني : رحلة ، ص241؛ عباس : ليبيا ، ص 178.

198- الرغبة في التخلص من التبعية السياسية للنورمان.

199- كانت الجزية جارحة للشعور الديني عند المسلمين.

200- رحلة ، ص242.

201- المصدر نفسه ، ص 242.

202- المقريزي : أبو العباس تقي الدين احمد، اتعاظ الحنفاء بإخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء، تحقيق محمد عبد القادر واحمد عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، 2001،ج1، ص201.

203: السامرائي : خليل إبراهيم، علاقات المرابطين بالممالك الاسبانية بالا ندلس والدول الإسلامية، دار الحرية للطباعة، بغداد، 1986، ص301؛ الدوري : صقلية، ص133.

204- حسن : حسن إبراهيم، تاريخ الدولة الفاطمية، ط2، القاهرة، 1958، ص615.

205- Hey . w , history , du commece levant aumoyen Age Amsterdem , 1959 , vol . 1/P.49

206- القلقشندي : أبو العباس احمد، صبح الأعشى في صناعة الانشا، تحقيق محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت، ج6/ ص447.

- المصدر نفسه ، 6 / 58-63؛ حمادة : محمد ماهر ، الوثائق السياسية والإدارية للعهود الفاطمية والأتابكية والأيوبية ، ط2 ، مؤسسة الرسالة ، بيروت207 ، 1982 ، ص182.

208- القلقشندي : صبح الأعشى ، 6 / 447.

209- حمادة : الوثائق السياسية ، ص186.

210- القلقشندي : صبح الأعشى ، 6 / 447 -452.

211- حمادة : الوثائق السياسية ، ص ص 186 ، .

212- Canard : (une latte du calife fatimite , al-hafiz. Aroger in miscellane , london , 1973 , p.126 – 131

213- أبن الأثير : الكامل ، 10/32.

214- السامرائي : خليل إبراهيم وأخرون ، تاريخ الدولة العربية الإسلامية في العصر العباسي ، الموصل ، 1988 ، ص341.

215- المصدر نفسه ، ص341.

216- أتعاظ الحنفا ، 330/2.

217- المصدر نفسه ، 2 /331.

218- الكامل ، 10/272.

219- بردويل ، هو نسيب راجار ، ينظر : أبن الأثير الكامل ، 10/272.

220- أبن الأثير : الكامل ' 10/272.

221- المصدر نفسه ، 10 /273.

222- المصدر نفسه ، 10/273.

223- المصدر نفسه ، 10/273.

224- المقريزي : أتعاظ الحنفا ، 2/336.

225- أبن الأثير : الكامل ، 11/412. ؛ مجهول : الأستبصار ، ص104.

226- المصدر نفسه ، ص 104.

227- حدثت الحملة الصليبية الثالثة خلال المدة الممتدة (585 – 588)هـ على أثر الأنتصارات الباهرة التي حققها صلاح الدين الأيوبي ضد الأمارات الصليبية ، واسترجاعه لبيت المقدس وقد شارك في هذه الحملة أعظم ملوك أوربا في ذلك الوقت. ينظر : الشطشاط : علي حسين ، تاريخ العلاقات بين الشرق والغرب في العصور الوسطى ، مجلس تنمية الإبداع الثقافي ، بنغازي ، ليبيا ، 2004 ، ص163.

228- paniel , op. cit , p.152.

229- السعيد : محمد مجيد ، الشعر في عهد المرابطين والموحدين بالأندلس، مطابع الرسالة الكويت ، 1980، ص12.

230- البيان، 10/380.

231- احمد : صقلية، ص166.

232- المراكشي : المعجب ، ص192؛ ابن أبي زرع : أبو الحسن علي بن عبد الله الفاسي، الأنيس المطرب بروض القرطاس في إخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، دار المنصور للطباعة والنشر، الرباط، 1972، ص 165.

233- التجاني : رحلة ، ص339.

234- المراكشي : المعجب ، ص192.

235- أبن أبي زرع : الأنيس ، ص189.

236- عبدالمؤمن بن علي الكومي ، سلطان المغرب يلقب بأمير المؤمنين ولد في مدينة تلمسان وكان أبوه يصنع الفخار وكان مولده سنة سبع وثمانين وأربعمائه. الذهبي : شمس الدين محمد بن أحمد ، سير أعلام النبلاء ، تحقيق شعيب الأرنؤوط ، ط2 ،مؤسسة الرسالة بيروت ، 1981 ، ج2 ، ص ص 366 ،367 ؛ أبن كثير : أبو الفداء أسماعيل ، البداية والنهاية ، تحقيق محمد بيوني وأخرون ، مكتبة الإيمان ، المنصورة ، د. ت ، ج12 ، ص632.

237- السلاوي : الأستقصا ، 2 /135.

238- التجاني : رحلة ، ص ص 345، 347.

239- السلاوي : الأستقصا ، 2/135، 136

240- التجاني : رحلة ، ص ص 345 ، 347.

كان له دور كبير في مدينة بلرم امام غزوات النورمان في اكثر من مناسبة، كذلك فأن ايوب بن تميم خسر خدمات هذا القائد الذي كان على معرفة ودراية كبيرة بنقاط القوة والضعف لدى خصومة النورمان وكان مقتله بمثابة ايذاناً بسقوط بلرم، فلم يقوى ايوب على التصدي للنورمان بقيادة رجار الأول إذ هزمه الأخير هزيمة ساحقة بأول لقاء بين الطرفين في موقعه الأمير سنة 460هـ [93] الأمر الذي اضعف الروح المعنوية للقوة القادمة من افريقية وعجل بانسحابها الى موطنها تاركةً مسلمي صقليه يلاقون مصيراً مجهولاً في ظل الحكم النورماندي وبالفعل استطاع النورمان من الاستيلاء على مدينة بلرم سنة 464هـ[94]، ثم واصلوا زحفهم نحو المناطق الاخرى حتى سقط اخر معقل للمسلمين في صقلية وهو مدينة نوطس في سنة 484هـ، وكان ذلك ايذاناً بنهاية الحكم الاسلامي في الجزيرة المذكورة وبداية الحكم النورماندي[95]. اتسمت العلاقة بعد ذلك بين الدولة النورماندية والدولة الزيرية بالهدوء نتيجة انشغال الدولتين بحل مشاكلهما الداخلية فالنورمان كان عليهم التصدي لأطماع الامبراطوريتين الالمانية والبيزنطية[96]، اما بالنسبة للدولة الزيرية فقد اصابها الضعف نتيجة صراعها المحتدم مع جيرانها الحماديين والفاطميين اضافة الى ذلك فقد استطاع بنو جامع الهلاليين الاستقلال بمدينة قابس بمعزل عن سلطة الزيريين وأصبح نفوذ ال زيري لايتعدى المهدية وبعض المناطق المجاورة[97]، بقيت العلاقة ما بين الطرفين على ما

241- الزركشي : محمد ، تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية ، تحقيق محمد ماضور ، المكتبة العتيقة ، تونس ، 1966 ، ص 11؛ السراج : محمد بن محمد الأندلسي ، الحلل السندسية في الأخبار التونسية ، د. ط ، تحقيق محمد الحبيب الهله، الدار التونسية للطباعة والنشر ، تونس ، 1970، ص 481.

242- أبن الأثير : الكامل ، 11/241 ،242 ؛ التجاني : رحلة ، ص ص 347 ، 348.

243- المعجب ، ص ص ،229 ، 230.

244- وهو من أهل جربه أسره النورمان ، وأعتقه الملك وشغل منصباً سامياً ، وعرف بطرس (بيترو) وتولى قيادة الأسطول ولما أخفق في أنقاذ المهدية وعاد الى بلرم أتهمه خصومه من حزب النبلاء بالخيانه ، وعنه يقول المؤرخ هوجر فلقندو (أن بطرس نصراني أسماً وزياً ولكنه مسلم باطناً) ، إلا أن وليم الأول لم يكترث لهذه الأتهامات ولم يتخذ ضد قائده أي أجراءات تأديبية ، ينظر : الطيبي ، أمين ، سيرة قائد بحري مسلم من جزيرة جربه ، مجلة الفصول الأربعة ، طرابلس ، السنة السادسة ، العدد (20) ، 1982 ، ص ص 46 ،47.

245- السراج : الحلل السندسية ، ص 481 ؛ السلاوي : الأستقصا ، 2/138

246- المراكشي : المعجب ، ص 230 ؛ أبن عذارى : أبو العباس أحمد بن محمد ، البيان المغرب في اخبار الأندلس والمغرب ، القسم الثالث (خاص بأخبار الدولة الموحدية) ، د.ط ، تحقيق أمبروسي أويثي ميرانده ، ومحمد بن تاويت الطنجي ومحمد بن إبراهيم الكتاني ، معهد مولاي الحسن ، تطوان ، 1960 ، ص39.

247- أبن أبي زرع : الأنيس ، ص199 ؛ أبن خلدون : العبر ، 6 /280 ؛ الزركشي : تاريخ الدولتين ، ص ص 11 ، 12

248- السراج : الحلل السندسية ، ص 482 ؛ السلاوي : الأستقصا ، 2/139

249- أبن الأثير : الكامل ، 11 /245 ؛ أحمد : تاريخ صقلية ، ص 68 وما بعدها.

250- Norwich : thenorman , p.214

251- عباس : أحسان ، العرب في صقلية ، دار الثقافة ، بيروت ، 1975 ، ص189.

252- يرجع أصل بنو غانية الى قبيلة مسوفه الصنهاجية وكان يحكمون الجزائر الشرقية (ميورقه ومنورقه ويابسه) في عهد المرابطين ، وعندما أستطاع الموحدون القضاء على المرابطين سنة 540 هـ ، حافظ بنو غانية على حكمهم في هذه المنطقة وقاوموا الحملات الموحدية المتكرر التي كان هدفها أخضاعهم ثم نقلوا بعد ذلك صراعهم مع الموحدين الى منطقة أفريقيه (تونس) . ينظر : المعموري : محمد عبدالله ، الأمير محمد الناصر لدين الله الموحدي وجهاده في بلادي المغرب والأندلس ، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة بابل ، 2002 ، 97ومابعدها

253- العبر : 6/288.

254- البيان الموحدي ، ص ص 156 ، 157.

255- المراكشي : المعجب ، ص252 ؛ أماري : ميخائيل ، المكتبة العربية الصقلية ، دار صادر ، بيروت ، 1857 ، ص 320

256- أحمد : تاريخ صقلية ، ص 17 -85.

هي علية الى سنة 509هـ وهي السنة التي تولى بها علي بن يحيى (509 – 515)هـ حكم الدولة الزيرية ، وفي عهد الامير المذكور حدث اختلال في موازين القوى غرب البحر المتوسط وانتقلت السيادة إلى أيدي النورمان بعد أن امتد نفوذهم إلى معظم نواحي الحياة في دولة بني زيري ووصلت غاراتهم للسواحل المغربية، قابل بنو زيري تلك الغارات بإعداد الأساطيل، ولكن غزو بني زيري لسواحل صقلية وجنوب ايطاليا كان عديم الأثر، ذلك لأنه منذ سنة 507هـ كان البحر المتوسط بحيرة نورماندية وصارت السيادة فيه للقوى البحرية الأوربية وتجولت فيه أساطيل صقلية ،وتدخلوا في الصراع الدائر بين أمراء افريقية وساعدوا بعض حكام تلك المدن ضد البعض الآخر[98]، إلا أن محاولاتهم الأولى بقيادة رجار الثاني ما بين سنتي (511- 520هـ) لإحراز موطئ قدم على ساحل الشمال الإفريقي باءت بالفشل[99].

ساءت العلاقات بين علي بن يحيى صاحب المهدية و(رافع بن مكي) [100] المسيطر على قابس سنة 500هـ بسبب رغبة علي بن يحيى في احتكار التجارة البحرية ولهذا وقف ضد رافع وطموحاته البحرية[101] اغضب هذا الأمر رافعاً وجعله يلجا إلى رجار الثاني طالباَ منه المساعدة فوعده بذلك، ويضيف التجاني[102] قائلاً: ((وعلم رافع بذلك فكتب إلى رجار صاحب صقلية يسأله الاعانه على علي ويخبره انه إنما انشأ تلك السفينة لبعث هدية يحب انه يهديها إليه، فبعث رجار إلى قابس أسطولا ضخماً لنصرة رافع...وكان ذلك من اشد الأسباب في الوحشة التي وقعت بين رجار وعلي وابنه الحسن بعده حتى أدت إلى تغلب الروم(النورمان) على المهدية ...)) ، ويبدو إن رافعاً كان من الذين لا يملكون وازعاً وطنياً ولا دينيا وذلك باستنجاده برجار الثاني المتربص بافريقية لتثبيت إقدامه على سواحلها الشمالية، وبالفعل وصل أسطوله إلى قابس واستقبل من قبل رافع بالفرح والسرور، ولكن الفرح لم يكمل حيث وصل أسطول المهدية بقيادة (الحسن بن علي) على الفور وهزمهم وملّك قطع من أسطول رجار وقتل عدد من رجاله، وهكذا فشلت الحملة النورمانية الأولى والتي كانت بداية العداء بين النورمان وأمراء افريقية من بني زيري، وقد صور لنا احد الشعراء وهو يمدح الحسن بن علي قائلاً[103]:

لِيهُنَ المعالي إن تملّك رقـها ... عليَ بن يحيى بالحجا والتكرَّمِ
جرى وجرى صيدُ الملوك فبذَّهم ... إلى غاية في المجد لم تتقدمِ
وصَمَم تصميم الحسام مبـادراً ... لإطفاء نـار أذنت بالتضـرمِ
تعدى على الاعلاج في بحر فابس ... وساء إليهم في الخميس العرمرمِ
قولوا على الإدبار كلاً واجعلـوا ... بناب نبا عنُهم وظُفِر مقلـمِ

كان الانتصار الذي أحرزه أسطول المهدية على نظيره النورماني سبباً مهما في اهتمام علي بأسطوله وتقويته استعداداً للحرب، فعمر عشرة مراكب حربية وثلاثين غراباً وشحنها بالرجال والعدة[104] ، وأستخدم (النفط[105]) في هجومه على قابس وطرد رافع منها، ويبدو انه أراد إن يحسم الداء قبل استفحاله وذلك باحتلال قابس وطرد رافع منها.اعد علي بن يحيى أسطوله لمهاجمة رافع في سنة 511هـ والذي لم يجد ناصراً ((فأرسل جماعة من وجوه قومه راغباً في المصالحة فلم يجبه علي إليها، فرأى انه لا قبلَ له بقتال علي فقصد إلى القيروان)) [106]، ويبدو مما تقدم إن الحرب لم تقع بين علي ورافع، وان الأخير فر هارباً خوفاً من علي، في حين ذكر ابن الأثير[107] إن رافعاً هاجم المهدية فانكسر وانهزم إلى القيروان، ويتفق أبن عذارى[108] مع أبن الأثير فيما ذهب اليه وبذلك يقول: ((نزل [رافع] على المهدية ببيوتة، ومن ساعدته من عشيرته ... ووقعت الحرب بين الفريقين ... والتقى الجمعان ثم ولى رافعاً قاصداً إلى القيروان...)).

ومهما يكن من أمر فان رافع فر إلى القيروان، وسلموه إمارة المدينة[109]، ولكن علي بن يحيى لاحقه بقبائل بني هلال بعد إن وزع لهم الأموال فبدأو القتال ضد رافع واقلقوا راحته، فتدخل الأمير ميمون الصخري[110]، بالصلح بين علي ورافع فأنصلح وارتفعت بينهما الفتنة [111]، ولم تذكر المصادر عن مصير رافع بعد تملكه القيروان عدا ابن الأثير[112] الذي ذكر إن رافعاً دخل القيروان بعد قتال نشب بينه وبين أهلها وان علي بن يحيى قد طرده منها، وبعد ذلك حدث الصلح والذي بموجبه رجع رافع إلى قابس ولكن العلاقة ساءت بين علي بن يحيى والنورمان في صقلية سنة 511هـ وذلك بسبب رافع بن مكي، والتي على أثرها قام علي بن يحيى بسجن (الوكلاء التجاريين الصقليين[113]) في أرضه وصادر أموالهم، ثم أفرج عنهم، إلا إن رجار الثاني طالّب

بالكثير من المطالب الثقيلة التي رفضها علي ولهذا كان رد فعل رجار بالتهديد والوعيد بشن حرب بحرية ضد المهدية، فأجابه علي برد مماثل وتوّعد بالهجوم على صقلية، وبالفعل تم الاستعداد للحرب المرتقبة التي لا مفر منها، ولكن الأمور تبدلت لكلا الطرفين، فقد وجد رجار في كلام الأمير علي شئ من القوة والجرأة، ويؤكد ابن عذارى[114] ذلك بقوله إن رجار الثاني أرسل سنة 512هـ رسولاً إلى علي بن يحيى ((يلتمس تجديد العقود وتأكيد العهود ويطلب أموالا كانت له موقفه بالمهدية وذلك بعنف وغلظة، فردّ علي رسوله دون جواب ...)) الاان القيرواني[115] يشير الى وقوع صلح بين الجانبين. ويبدو إن العلاقة بين رجار وعلي كانت متذبذبة، وبقي الحال بينهما قلقاً حتى وفاة الأمير علي ويتضح من خلال استقراء الأحداث إن علياً لو أمتد به العمر لقاد حملة كبيرة على صقلية ولكن موته قطع ذلك كله ، وتولى ابنه الحسن بن علي مقاليد الأمور في المهدية سنة 515 هـ[116]. وفي عهد ه تعرضت المهدية لهجوم من قبل النورمان وبالتحديد سنة 522 هـ وكان هذا الهجوم بمثابة مشاركة من جانب النورمان في الحروب الصليبية ولكن من موقع آخر، ولهذا طلب راجار المساعدة من بعض الإمارات المسيحية ومنهم ملك قشتاله[117] فأجابه ومده بأسطوله المتكون من ثلاثمائة مركب على متنه ثلاثون إلف مقاتل وزهاء إلف فارس يقودهم جورج الإنطاكي[118]. حاول رجار إحاطة أسطوله المتوجه إلى المهدية بنوع من الحيطة والحذر لكي يفاجئ خصومه في المهدية، ولكن تأتي الرياح بما لا تشتهي السفن حيث هبت عاصفة ألحقت خسائراً فادحةً بأسطوله، إما السفن التي نجت من الغرق فقد اتجهت إلى جزيرة قوصرة واستولت عليها فنهبتها وقتلت الكثير من أهلها[119]، اتجه الأسطول النورماني بعد ذلك إلى جزيرة الاحاسي[120]، ومنها إلى (قصر الديماس[121]) في الساحل واستولوا عليه بعد حصار دام ستة عشر يوما، وبعدها زحفوا برا بالرجال والخيل إلى المهدية، وعندئذ أجتمع المسلمون[122]، وخرجوا من المدينة كالموج مقاومين المحتلين مقاومة عنيفة انهزم النورمان على أثرها إلى البحر وركبوا سفنهم، ولم يكتفوا بذلك بل تبعوهم إلى جزيرة الاحاسي، فاضطر عسكر النورمان إلى طلب الأمان من الحسن، ولكن العرب الهلالية الذين اشتركوا معه في القتال رفضوا ذلك فخرج النورمان من منتصف جمادي الأخر، فأخذتهم سيوف قبائل بني هلال وقتل عدد كبير منهم، أما الذين فروا من الجزيرة فقد اقلعوا بما تبقى من السفن متوجهين إلى صقلية[123]وتماشياً مع ما تقدم يتضح إن الحسن كان على علم بخطة النورمان الهجومية على المهدية قبل وصولهم إليها، وهذا واضح من الخسارة الفادحة التي ألحقت بأسطولهم رغم ضخامته، فضلاً عن المقاومة الشعبية المتمثلة في القبائل العربية البارزة في القتال، وقد أذاع الحسن في المدينة نبأ هذا النصر الذي تغنى به الشعراء، ومنهم ابن حمديس الذي صور انتصار العرب في وقعة الديماس بقوله وهو يمدح الحسن بن علـي[124]:

فأسأل عنهم الديماسْ تسمْع حديثُهم فهم بالمواض في جزيرته جزرُ

وما غنموا إلا مُنَى كذبتْ لهـم وكان لهم بالقَصْر عن نيلها قصرُ

أصبح الخطر الذي يهدد البلاد واضحا إذ أن رغبة النورمان في الانتقام وحب السيطرة بقيت في تنامي مستمر، وكان بإمكان الحسن بن علي إن يكون نداً عنيداً لرجار الثاني لولا انه اصطدام حينذاك بإطماع ابن عمه يحيى بن المعز[125]، وفي الوقت نفسه أدرك رجار الثاني بعد هذه الهزيمة إن الوقت لم يحن بعد للاستيلاء على المهدية، فأرجأ ذلك إلى فرصة مواتية، وأخذ يعد العدة للحرب الصقلية ـ الإسلامية التي تواصلت في السنوات التالية.

ب ـ الغزو النورماني للساحل الإفريقي

ـ دوافع الغزو

لم يقتصر النورمانديين في توسعهم على مواقع العرب المسلمين في جزيرة صقلية بل اتجهوا إلى شمال إفريقيا مدفوعين بعوامل عدة يمكن إيضاحها بالصورة التالية :

1- الدافع الديني:

يوجز ابن الأثير[126] إن قيام الحروب الصليبية في أواخر القرن الخامس الهجري /الحادي عشر الميلادي بالقول: ((كان ابتداء ظهور دولة الإفرنج واشتداد أمرهم وخروجهم على بلاد الإسلام واستيلائهم على بعضها، سنة ثمان وسبعين وأربعمائة تملكوا مدينة طليطلة وغيرها من بلاد الأندلس ... ثم قصدوا سنة أربع وثمانين وأربعمائة جزيرة صقلية وملكوها ... وتطرفوا إلى

إطراف افريقية فملكوها [النورمان] ثم ملكوا غيره على ما تراه،ما كان سنة تسعين وأربعمائة خرجوا إلى بلاد الشام))ومما يتقدم يتضح من ما ذكره ابن الأثير إن هجمات مسيحية صليبية منظمة على ارض الإسلام من بلاد الشام شرقا إلى بلاد الأندلس غربا مرورا بجزيرة صقلية وشمال افريقية غرضها الاستيطان والسيطرة. كما حاول رجار ربط جبهة المسلمين في الأندلس وشمال افريقية بجبهة واحدة، ولهذا وجب عليه التحالف مع بعض ملوك أسبانيا[127]، وقد حصل رجار على كسب رضا الكنيسة والملوك المجاورين في آن واحد.

2- الدافع الاقتصادي :

ازدهرت الحياة التجارية في صقلية نتيجة صلاتها التجارية مع مدن الساحل الإفريقي والتي استمرت مدة طويلة[128]، بالرغم من وجود الخلاف الديني والسياسي بسبب كون افريقية المنفذ الطبيعي لقمح صقلية، فقد كان يبادل بـ(الذهب[129]) أولا ثم (الرقيق[130]) ثانيا لدرجة إن واردات صقلية من الذهب كان مصدرا لا يستهان به لحصول أوربا على كميات منه لضرب نقودها[131]، فضلا عن دعم النقد في صقلية نفسها[132]، إلى جانب ازدياد عدد السفن التجارية وما كانت تدره من ضريبة العشر على تلك السفن المبحرة بين البلدين[133]، ومع ذالك فان التجارة لم تكن كافية لرجار، وعليه نظر إلى الغزو لإثبات جدارته في السيطرة المباشرة في أية فرصة وقد تحقق له ذلك سنة 511هـ.

3- الدافع الاستراتيجي :

حاول النورمان السيطرة على مؤانىء شمال افريقية المقابلة لصقلية على ساحل تونس وطرابلس الغرب وذلك سنة (511-520هـ) من اجل ضمان السيادة البحرية لأسطولهم في وسط البحر المتوسط من جهة، وتحكمهم في الملاحة بين شرق المتوسط وغربه من جهة أخرى[134]، وبذلك أراد راجار إن يؤمن حكمه في صقلية من إمكانية ثأر المسلمين ومحاولاتهم لأسترداد صقلية خاصة بعد ظهور المرابطين كقوة لايستهان بها وامكانية تهديهم لجزيرة صقلية فضلاً عن ذلك وجد راجار إن سيادة الأسطول النورماني في البحر المتوسط سيؤمن المنطقة له أضافة الى تخلصه من أسطول بني زيري الذي كان أقوى الأساطيل الإسلامية في البحر المتوسط آنذاك[135]، لذلك نجده يبدأ باحتلال مدن الساحل المغربي مستغلا العلاقات التجارية والدبلوماسية الجيدة التي كانت تربطه بالدولة الفاطمية في مصر من جهه وانشغالها الدولة المذكوره بالحروب الصليبية في المشرق من جهة أخرى، ومع ذلك فان أهالي المدن المحتلة لم يستسلموا للاحتلال النورماني بل جاهدوا حتى تحرير المنطقة بشكل كامل.

- احتلال جربه

كانت جزيرة جربة تتمع بشئ من الاستقلال الذاتي[136] منذ منتصف القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي ،أذ كانت تجاهد ضد النورمان الذين انتزعوا صقلية من المسلمين، وذلك بالتصدي لمراكبهم في البحر المتوسط من جهة ورداً على ممارساتهم المتجه نحو الحصول على موطئ قدم في افريقية من جهة أخرى، ومع هذا نجد صاحب المهدية[137] يقدم على مهاجمتها وإخضاعها لسلطانه سنة 510هـ متذرعاً بما ((ترادف عليه من قطع أهلها في البحر وإخافتهم المسافرين فيه)) [138].غزا أسطول النورمان جزيرة جربه في خريف عام 529هـ واستخدم رجال الأسطول العنف والنهب والقتل مع أهالي الجزيرة بعد إن أبدى أهلها مقاومة عنيفة، وفي ذلك قال ابن الأثير: ((فخرج إليها [إلى جربه] جمع من الإفرنج [النورمان] ... في أسطول كثير وجم غفير، فيه من مشهوري فرسان الإفرنج جماعة ... فوقع بين الفريقين حرب شديدة، فثبت أهل جربه، فقتل منهم بشر كثير، فانهزموا وملك الإفرنج الجزيرة ...)) [139]. م يستسلم أهل جربه للنورمان وكانت مقاومتهم باسلة وقد توجت تلك المقاومة بانتفاضة سنة 548هـ والتي استطاعوا من خلالها تحرير جزيرتهم وإخراج المحتلين منها وقتل من بقي منهم ولهذا جهز النورمان أسطولا كبيراً في السنة نفسها تمكن من احتلال الجزيرة مرة ثانية قامعاً انتفاضتهم دون رحمة بعد مذابح رهيبة، ومن نجا من سكانها من ذلك القتل والسبي، نقّل إلى صقلية فبيعوا في الأسواق عبيداً ((ولم يبقى في الجزيرة إلا من لا بال له)) [140]، ويضيف القيرواني[141] إن ((رجار الثاني ولى عليهم عاملاً من قبله وكتب لهم أمانا من عنده وجعلهم خولا لهم))، وما قيمة الأمان بعد إن تعرضت الجزيرة وأهلها إلى

اشد أنواع القتل والتعذيب والنهب والتشريد، ومع هذا لم يتحرك الحسن بن علي امير الدولة الزيرية بالرغم من إن الجزيرة كانت من ممتلكاته، ويعلل هذا إما لضعفه إمام النورمان أو ارتباطه معهم بعهود .

أن غزو النورمان لجزيرة جربه لم يكن بقصد وضع حد لأعمال القرصنة ، بل لأن صاحب صقلية كان يطمع في افريقية بعد إن انتزع صقلية من المسلمين، وأراد أن يتخذ من جربه قاعدة له في خليج قابس لتحقيق غرضه، وقد أدى اخذ النورمان لجربه إلى عرقلة التجارة البحرية بين مصر وافريقيا[142]، فضلاً عن استيراد التوابل والعطور من مصر، لان افريقية كانت تستورد الكتان لصناعة الأقمشة والسوسية الشهيرة وتصدرها إلى المشرق[143]، ومنذ منتصف القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي كان نقل البضائع بين افريقية ومصر يتم معظمه بحراً بعد أن كان ينقل براً عن طريق القوافل قبل الغزوة الهلالية[144].

- احتلال قرقنه

هاجم النورمان جزيرة قرقنة بعد محاوله فاشلة لأحتلال مدينة طرابلس سنة 539هـ[145] ، الأمر الذي اغضب الحسن بن علي من تلك التحركات النورمانية، ولكن رجار الثاني أقنعه بكتاب بعثه له موضحا بان الأسطول النورماني يريد مهاجمة المدن المتمردة على حكم بني زيري، ولهذا اقتنع الحسن بكلام رجار دون أن يحرك ساكنا، وذكر ابن الأثير[146] انه في سنة 540هـ في المعنى نفسه ((فقتلوا رجالها وسبوا حريمهم، فأرسل الحسن صاحب افريقية إلى رجار ملك صقلية يذكره بالعهود التي بينهم، فاعتذر بأنهم غير مطيعين له)). ويبدو أن الحسن قد طلب من رجار الثاني القيام بحملات تأديبية ضد الخارجين عليه والدليل على ذلك هو إقتناعه بما قال رجار، وبهذه الحالة يعتبر الحسن متواطئاً مع النورمان ضد أبناء وطنه من اجل الحفاظ على عرشه، ويشير القيرواني[147]: ((انه لما استولى النورمان على جزيرة قرقنة سبوا أهلها وباعوهم في أسواق صقلية كما يباع العبيد، ومن سلم منهم رجع لها ودخل تحت حماية النورمان))يتضح إن الجزيرة كانت مهملة من قبل أمراء بني زيري رغم قربها من المهدية من ناحية وكذلك موقعها الحيوي الهام من ناحية أخرى، ويبدو أن الغفلة والمراوغة التي اتبعها النورمان كانتا سبباً رئيساً في ضعف مقاومة أهل الجزيرة، خاصة وان أهلها كما تشير الأحداث كانوا متمردين ضد السلطة الزيرية، حيث كانت من مراكز القلق والتمرد، وربما هذا ما يفسر عدم تدخل الحسن لما حدث فيها دون أن يحرك ساكنا لمد يد العون لها، وقد سهل هذا الأمر على الغزاة احتلال الجزيرة .

- احتلال طرابلس الغرب

تتمتع طرابلس بموقع مميز بين مشرق الوطن العربي ومغربه ، حين كانت تمر بها الجيوش العربية ذهابا وإيابا، كما تمر بها القوافل التي تحمل السلع والحجاج ورجال العلم والأدب، واثر ذلك كله على المدينة من الناحية السياسية والاقتصادية والفكرية والدينية، مما جعلها محط أنظار الدول المجاوره لها ومنهم أصحاب المهدية من بنو زيري الذين اهتموا بها لقربها من أمارتهم من جهة ولموقعها الحيوي الهام من جهة أخرى[148]، فضلاً عن اتخاذها بديلاً عما فقدوه في المغربين الأوسط والأقصى وذلك لخوفهم من سيطرة قوة معادية على المدينة[149] ، وكان في سّنَة المسلمين منذ بداية حروب التحرير الإسلامية أقامة (الربط[150]) محاذاة سواحل الشمال الإفريقي، يعبدون فيها الله ويقيمون شعائر الدين ثم يحملون السيف لحراسة الوطن من العدو المتربص به من وراء البحر، وقد أصبحت الربط مراكزاً لقوافل التجارة ودورا للعلم ، وذكر المراكشي[151] ((ما بين الإسكندرية وطرابلس الغرب حصون متقاربة جداً فإذا ظهر في البحر عدو نوَر كل حصن للحصن الذي يليه ...)) ، وبفضل هذا الممارسة ازدهرت الحياة التجارية والزراعية، وظهرت بعض المدن الكبيرة ومنها طرابلس التي أصبحت مطمعاً للنورمان، الذين بعثوا العيون للتعرف عن إخبارها بالتفصيل[152] ، فضلاً عن ان قائد الأسطول النورماندي جورج الأنطاكي كان على معرفه بالبلاد وجغرافيتها، ولهذا قرر رجار الثاني غزو طرابلس خاصة بعد أن وصله إن خبراً استقلال أبا يحيى رافع بن مطروح[153]عن الأمير الحسن بن علي في المهدية[154]، وأبحر الأسطول النورماني في التاسع من ذي الحجة سنة537هـ، وعن ذلك قال ابن الأثير[155]: ((فنازلوا البلد وقاتلوه، وعلقوا الكلاب على سوره وثقبوه، فلما كان الغد وصل جماعة من العرب [عرب بني هلال] نجده لأهل البلاد، فقوي أهل طرابلس بهم، فخرجوا إلى الأسطول فحملوا عليه حملة منكرة، فانهزموا هزيمة فاحشه وقتلوا منهم خلق كثير، ولحق الباقون بالأسطول، وتركوا الأسلحة والإثقال والدواب والآلات فنهبها العرب وأهل البلد. ورجع الفرنج إلى صقلية ...)).وهكذا فشلت الحملة النورمانية في الدخول إلى طرابلس وذلك لحصانتها من جهة واستعداد بني مطروح[156] للدفاع عن أنفسهم فضلاً عن دور القبائل العربية من بني هلال وسليم من جهة أخرى، ولهذا دحَر الغزاة ورجع الأسطول النورماني وهو يجر أذيال الخيبة والهزيمة، ويبدو إن رد فعل رجار الثاني كان قوياً لأنه أراد محو العار الذي الحق به ولذلك قام بالعودة إلى طرابلس سنة539هـ ولكن بقوة صغيرة غرضها التمويه[157]، وبصورة مفاجئة وخاطفة في عملية لجس نبض من ناحية وللتأكيد على أن رجار لايزال موجود وباستطاعته الوصول إلى طرابلس من ناحية أخرى وقد ذكر ابن الأثير[158] في هذا المعنى قائلاً ((كان صاحب جزيرة صقلية قد أرسل سرية قي البحر إلى طرابلس الغرب وتلك الإعمال فنهبوا وقتلوا) اجتاحت مدينة طرابلس سنة 540هـ مجاعة مهلكة قضت على الكثير من أهلها وحملت كثيراً منهم على النزوح عن المدينة[159]، كما ثار أهلها قبيل وصول النورمان بمدة ضد بني مطروح وأخرجوهم من البلاد، وولوا عليهم رجل من المرابطين(الملثمين)[160]، وقد يستغرب من تولية رجل غريب أمر طرابلس، في الوقت نفسه نستبعد إن يكون الخلاف بين أهالي المدينة وصل الى حد تولية رجل عابر سبيل يسعى لأداء فريضة الحج ، ولا يذكر ابن الأثير[161]

تفاصيل عن اسم الشخص أو عمله ويكتفي بأنه كان من ضمن رهائن المدينة الذين حملهم النورمان إلى صقلية، واستغل رجار الثاني هذه الظروف في تنفيذ خطته للاستيلاء على طرابلس فأمر أسطوله بالتوجه إلى المدينة بقيادة جورج الإنطاكي في 3 محرم سنة 541هـ فأحاطوا المدينة من جهة البر والبحر، ولكن أهل طرابلس هبوا للدفاع عن مدينتهم ومقاومة المحتلين فاعتلوا الأسوار لمدة ثلاثة أيام متتالية ولكن الأمر تغير عندما اجتمعت جماعة من مؤيدي أبن مطروح وأعادوا تنظيمهم ودخلوا المدينة، ولهذا تصدى لهم أهلها ووقعت بينهم معركة جعلت أهل الأسوار بدون حماية تذكر، ولهذا بادر النورمان إلى وضع السلالم على الأسوار واستطاعوا من دخول المدينة عنوة، وقد نال أهل طرابلس القتل والنهب والسلب، ولجأ كثير منهم إلى المناطق المجاورة، ثم نادوا بعد ذلك بالأمان فرجع الأهالي إلى منازلهم، ((وأقام الإفرنج ستة أشهر حتى حصنو أسورها وحفروا خندقها، ولما عادوا [إلى صقلية] اخذوا رهائن أهلها ومعهم بني مطروح والملثم، ثم أعادوا رهائنهم، وولوا عليها رجلاً من بني مطروح، وتركوا رهائنه وحده، واستقامت أمور المدينة وألزم أهل صقلية والروم بالسفر إليها فانعمرت سريعاً)) [162]، ومما تقدم يبدو إن المدينة كانت محصنة بشكل جيد لدرجة إن العدو لم يستطيع من دخول المدينة إلا بعد انشغال أهلها بخلافات انتشرت فيما بينهم مما أدى إلى تعثر واضح في الدفاع عنها فسّهل دخول النورمان، والذي يثبت حصانه المدينة هو فشل النورمان في دخول المدينة في سنة 537هـ وكذلك سنة 539هـ، وهكذا وقعت طرابلس بيد النورمان نتيجة الخلافات والصراعات على السلطة ولو كان ذلك على حساب الوطن والدين، كما يتضح إن المدينة قد تعرضت إلى الخراب والدمار الشامل بدليل إن النورمان استغرقوا ستة أشهر في أصلاح أسوارها وخنادقها، ويبدوا كذلك إن وضع طرابلس لم يكن مستقر ولهذا أقدم النورمان لأخذ رهائن من أهلها، ولم يتم إرجاعهم إلا بعد استقرار المدينة.

كما حاول النورمان تغيير هوية المدينة وذلك بتشجيع الهجرة إليها، فهاجر إلى طرابلس عدد من المستثمرين لغرض الاستيطان، كما منح رجار الثاني مساكن وأراضي زراعية وقروضاً مالية، وذلك تشجيعاً منه للصقليين على الهجرة والاستيطان في طرابلس وهي نزعة استيطانية استعمارية مبكرة، وربما هي بداية الطريق لدى رجار لتأسيس إمبراطورية نورماندية تشمل صقلية وشمال أفريقية.

رتب جورج الإنطاكي أمور البلاد الإدارية فأصلح سورها وحفر خندقها وحدد نسبة من المال تقوم المدينة بدفعها كجزيه لحكومة صقلية فضلاً عن وجود حامية نورمانية، ثم عين أبا يحيى رافع بن مطروح التميمي والياً عليها[163]، كما وضع أبو الحجاج يوسف بن زيري على قضائها وكان هؤلاء يديرون شؤون المدينة[164]، ويبدو إن للحامية الموجودة فيها الدور الكبير في حفظ حقوق النورمان في المدينة فضلا عن حمايتها للجالية النورمانية التي نقلها رجار الثاني إلى طرابلس، ويظهر إن اختيار والي من أهالي المدينة والمتمثل ببني مطروح يعطيه نوع من الشرعية، وتسكت الكثير من المصادر عن ذكر فترة السيطرة النورمانية على طرابلس الغرب وما حولها، ولكن يتضح إن ابن مطروح لم يكن قادراً على تهديد المصالح النورماندية في طرابلس نظرا لوجود حاميتهم فيها فضلاً عن وجود حاميات أخرى في المدن المجاورة هذا من ناحية، وانه لاينسَ فضلهم في وضعهِ والياً على المدينة من ناحية أخرى، ولم تكن هناك قوة إسلامية قريبة يستعين بها على تخليص المدينة من النورمان، وعلى أية حال حاول ابن مطروح التوجه إلى الداخل لتحسين أحوال الناس المعاشية في المدينة لحين توفر الفرصة المناسبة لتحرير المدينة نهائياً، ولهذا شجع النشاط الاقتصادي في المدينة وخاصة التجارة البحرية مستغلاً الظروف العامة التي مرت بها المنطقة حيث كانت تشكو حالة من القحط والغلاء، فازدهرت طرابلس وأصبحت مركزاً تجارياً مهما.

ـ احتلال المهدية

فقدت الدولة الزيرية في أواخر عهد الأمير الزيري الحسن بن علي الكثير من المناطق التي كانت تسيطر عليها في عهد امرائها الاوائل بسبب تدخل الدولة النورمانية في شؤون افريقية وسيطرتها على اجزاء من الساحل الافريقي اضافة الى ظهور قوى محلية منافسة للزيريين واستئثارها ببعض المناطق بعيدا عن سيطرة بني زيري . لذلك لم يجد الامير الحسن من بد سوى الاستعانة بالدولة النورمانية لإخضاع المناطق الثائرة على حكمه[165].لم يتأخر رجار عن مساعدة بني زيري لإخضاع الثائرين عليهم ولكن مقابل صفقة كبيرة نتيجتها صلح بين الطرفين بشروط قاسية يقول التجاني: [166] ((وانشأ [رجار الثاني] في ظاهر الأمر بينه وبين الحسن صلحاً وفي نفسه ما فيها لتتم خديعته ويتمكن من مراده ...)) ، ولكن شروط ذلك الصلح لم ترض أهل المهدية، إذ وجد وفيها مذلة لهم، ولهذا اتصلوا بالأمير يحيى بن المعز صاحب بجاية طالبين منه تخليصهم من الحسن لقبوله هذا الوضع المهين، وبالفعل استجاب يحيى إلى طلب أهل المهدية وأغار على المدينة سنة 530هـ وحاصرها بقواته من البر والبحر، إما رد فعل الحسن بن علي فقد طلب المساعدة من قبائل عرب بني هلال، كما استعان بالنورمان أعداء الأمس، ويبدو إن الغلبة كانت للحسن الذي صارت بلاده شبه محمية نورمانية[167]، وفي ذلك ذكر القيرواني: [168] ((وفي أيام الحسن قصد صاحب بجاية أخذ المهدية لأنه سمع بالأمير الحسن انه صالح الملك رجار الثاني صاحب صقلية ووقعت بينهما الهدنة. وكان ذلك إن الحسن أرسل بهدية وصالحه مخافة من شره، فتم الصلح وشرط اللعين [رجار الثاني] شروطاً فقبلها)) ، ويبدو من خلال النص إن الحسن بن علي قد تخلى عن واجبه الوطني في مقاومة النورمان العدو الأول لبلاده وتحالف معهم ضد أبناء عمومته في بجاية، وكان الأجدر به إن يتحالف مع ابن عمه يحيى بن المعز صاحب بجاية ضد عدوهم المشترك المتمثل في النورمان، ومنذ ذلك الحين أصبح رجار الثاني يتحكم في أمور الإمارة الزيرية من الناحية السياسية والاقتصادية، ولا سيما وإن صقلية تمد افريقية بما تحتاجه من الحبوب وخاصةً القمح، ومنذ ذلك الحين، اعترف الحسن بن علي من تلقاء نفسه بتبعيته لرجارالثاني واثبت ذلك بموجب معاهدة بين الطرفين يتضح إنها لصالح النورمان[169]، والتي صارت من أهم الأسباب التي جعلت رجار الثاني يتدخل تدخلاً مباشراً في الشؤون الداخلية للمنطقة وكأنها تابعة له . جاءت أهمية المهدية بالنسبة للمشروع النورماني بعد احتلالهم مدينة طرابلس سنة 541هـ[170] حيث تحولت الغارات النورمانية إلى افريقية من غارات قرصنه إلى غارات منظمة استمرت لسنوات أسفرت بالسيطرة على الساحل ولم يبق سوى حاكم مدينة المهدية الحسن بن علي[171]، بعيداً عن الحكم النورماني، ومع هذا فانه ارتبط بمعاهدة عدم اعتداء مع رجار الثاني، واستمر الوضع كما هو حتى سنة 542هـ حين عرض صاحب مدينة قابس رشيد بن كامل مدينته إلى رجار شريطة إن يكون واليها[172]، فقبل رجار ذلك العرض في حين عارضه بشدة الحسن بن علي[173]، ومع هذا استمر محمد بن رشيد صاحب قابس بنفس سياسة أبيه الذي توفي سنه 542هـ ويبدو انه كان ضعيفا لأنه سلم تصريف أمور الإمارة لمولاه يوسف، الذي

استبد بالأمر وتطاول على الناس، مما أدى إلى هروب معمر الابن الأكبر لرشيد إلى أخواله بني قرة، كما اعتدى على حرمة سيدة من قرة وامتنع من تسليمها، ولهذا اتجه بنو قرة ومعمر بن رشيد إلى الحسن صاحب المهدية واستنجدوا به، فخاطب الحسن يوسف في تسليم المرأة فامتنع، بل هدد بتسلم قابس إلى رجار ولهذا جهز الحسن حملة عسكرية لمواجهة يوسف، الذي أرسل بدوره إلى رجار يطلب منه خلعة وعهداً لولاية قابس مقابل إن يكون نائباً عنه، ولكن رسول يوسف تم القبض علية وطيف به في المهدية[174].

قام الحسن بن علي بتجهيز حملة عسكرية هاجم بها قابس التي ثارت ضد المغتصب لخضوعه للنورمان[175]، سنة 543هـ واسر يوسف وعذب ومثل به حتى مات تحت التعذيب، وولى معمر قابس مكان أخيه وآخذ بني قرة أمرأتهم[176]، وتلتزم المصادر التاريخية الصمت اتجاه مصير محمد بن رشيد، والأرجح عندنا انه مات في هذه الإحداث أو خلع من الإمارة بسبب ضعفه أو صغره، وظهر معمر في الدفاع عن كيان البلاد ضد رجار وصنيعته يوسف، وقد استهجن القيرواني[177] هذا المسلك الذي سلكه يوسف فقال: ((قلت أعوذ بالله من الخذلان، وإلا كيف تعد هذه الطائفة من حزب المسلمين، وإنما هي من حزب الشيطان، لكن حب الشئ يُعْمي ويُصم)). بعد هزيمة يوسف سنة 543هـ وتولى معمر أمر قابس هرب ولده يوسف وأخيه عيسى واتجها إلى رجار الثاني مدعين انه ما حدث ليوسف بسبب ولائه له ودخوله في طاعته، ولهذا غضب رجار لاعتداء الحسن بن علي على يوسف كون الاثنين يخضعان له ولهذا استغل الموقف لصالحه وخرق صلحه مع الأمير الحسن[178].جاءت حملة سنه 543هـ نتيجة توتر العلاقات بين الطرفين، بقيادة جورج الإنطاكي لمهاجمة المهدية بأسطوله الذي يقدر بـ(250) سفينة، ويبدو إن الحسن كان يدرك إن استحالة المقاومة لمدة طويلة الأمد، إذ كانت البلاد تعاني من مجاعة ولم يكن بوسع المهدية إن تصمد أكثر من شهر[179]، ومع هذا كان الحسن بن علي يرسل المراكب إلى (جزيرة قوصرة[180]) المتوسطة الموقع بين المهدية وجزيرة صقلية والتي كانت مزودة بالحمام الزاجل، لموافاته بأخبار تحركات الأسطول النورماني في اتجاه الساحل الإفريقي على وجه السرعة كي يتأهب لملاقاته. ورغم حالة الحذر واليقظة فقد تزامن وصول الأسطول النورماني مع وجود مركب مراقبة تابع للحسن بن على، وكان على ظهر المركب قفص حمام زاجل يستخدم لنقل الرسائل بسرعة، فسأل قائد الأسطول صاحب الحمام هل أرسل شيء إلى الحسن فأجابه بأنه لم يرسل شيئاً فأمره إن يكتب بخطه: ((إننا لما وصلنا جزيرة قوصرة وجدنا بها مراكب من صقلية، فسألناهم عن الأسطول المخذول، فذكروا انه اقلع إلى جزائر قسنطينة، وأطلق الحمام إلى المهدية فسر الأمير الحسن والناس، وأراد جورج بذلك إن يصل بغتة ...)) [181].

ورغم إن تلك الخطة كانت للتمويه على الحسن بن علي فقدر الله تعالى انه يرسل ريحاً هائلا فلم يقدروا على السير إلا بالمقاذيف[المجاديف] فطلع نهار ثاني صفر هذه السنة قبل وصولهم فرآهم الناس فلما رأى جورج ذلك وان الخديعة فاتته، أرسل إلى الأمير الحسن يقول: ((إنما جئت بهذا الأسطول طالبا بثار محمد بن رشيد صاحب قابس ورده إليها، أنت فبيننا وبينك عهود وميثاق إلى مدة ونريد منك عسكراً يكون معنا ....)) [182]. اضطربت أحوال الحسن وجمع كبار الأعيان والعلماء في طرابلس لاستشارتهم في الأمر، فنصحه بعضهم بالدفاع عن المدينة، ولكن الحسن كان يشعر بان نجمه اخذ ينتهي، وانه من العبث أن يلجأ إلى القوة، لان عساكره كانت قليلة العدد والمؤن لدرجة إن المون لا تكفيها أكثر من شهر، ولهذا لم يأخذ برأي هؤلاء الذي أشاروا عليه بالدفاع واعتبرها مجازفة لا فائدة منها في رأيه، في الوقت نفسه لم يقبل باقتراح جورج الإنطاكي الذي يقضي بالانضمام إليه لمحاربة إخوانه المسلمين، وقد أبدى رأيه هذا لكبار الفقهاء والأعيان قائلا: ((... إنا أرى سلامة المسلمين من الأسر والقتل خيراً من الملك، وقد طلب مني عسكراً إلى قابس فان فعلت، ما يحل لي معونة الكفار، وان امتنعت يقول [رجار] انتقض ما بيننا من الصلح، وليس يريد إلا إن يثبطنا حتى يحول بيننا وبين البر، وليس لنا بقتاله طاعة، والرأي نخرج بالأهل والولد وننزل عن البلد، فمن أراد إن يفعل كفعلنا فليبادر معنا ...)) [183]، وهكذا لم يجد الحسن من خيار سوى الهرب للأسباب التي مر ذكرها، ولكن كان من الأجدر به الدفاع عن مدينته حتى النهاية، وبذلك يكون الاستشهاد في سبيل الله والوطن خيراً من الهرب والاستسلام للنورمان الذين دخلوا المدينة دون مقاومة ودخل جورج الإنطاكي مقر الحسن فوجدوه كما هو بكل ما فيه من ذخائر، ووجد الخزائن مملوءة بالذخائر النفيسة، وتعرضت المدينة للنهب لمدة ساعتين نودي بعدها بالأمان للناس، وخرج من كان متخفيا ورجع من كان خارج المدينة[184].

جـ ـ مقاومة مدن الساحل للغزو النورماندي:

بعد إستيلاء النورمان على مدينة سفاقس سنة 443 هـ وكما ذكرنا آنفاً أصطحب معه شيخ البلد أبا الحسن الفرياني كرهينة لضمان ولاء هذه المدينة لهم[185].وقد جسد الفرياني اروع مضاهر التضحية والفداء عندما اوصى ولده عمر بادارة شؤون البلاد ، حيث ودعه قائلاً: ((يا بني إني قد كبرت وأشرفت على الموت، وقد صدقت نفسي على المسلمين، فان أمكنتك الفرصة في هؤلاء النصارى فانتهزها ودعني اقتل)) [186] ، ومما تقدم يتضح إن صفاقس كانت غير مستقرة للنورمان، ولهذا حاولوا اخذ رهائن لضمان ولاء المدينة لهم وعدم القيام بأي تحرك ضدهم، ومع هذا فقد قام علي بن أبي الحسن الفرياني بثورة سنة 551هـ، والتي مثلت الموقف الشعبي الرافض للاحتلال النورماني والمتمثل بأروع مظاهر الفداء والتضحية من والده الفرياني، حيث جاء بوصيته انه تصدق بنفسه على المسلمين، وعلى الرغم من تلويح النورمان بقتل الحسين، فان الابن تغلب على عاطفة الأبوه لهدف أسمى وأعلى وهو الجهاد ضد النورمان وطردهم وتحرير صفاقس.

وفي أوائل تلك السنة أمر عمر الفرياني أهل صفاقس بالثورة فقالوا له إننا نخاف على سيدنا الشيخ والدك[187]، ولكن عمر برر موقفه المنطوي على خطر حياة أبيه لأنه أوصاه بالثورة، وان قتل والده هين إذا ثار له أهل صفاقس ضد النورمان، فرتب الثوار وقسمهم إلى قسمين قسم يتجه للاستيلاء على الأسوار وقسم آخر يتجه لمهاجمة مساكن النورمان، ونفذت تلك الخطة بكل حماس وصدق وكانت النتيجة قتل عدد كبير من النورمان وسيطر الثوار على المدينة[188]، وبهذا حقق أهل صفاقس ما كانوا يتمنون بتحرير مدينتهم من النورمان.وصلت أخبار الثورة الى مسامع وليام الأول [189] صاحب صقلية فأمر بحضور أبا الحسن الفرياني وأخبره بما فعله أبنه ، وأمره إن يكتب له كتاباً ينهاه عما عمله ويأمره بالعودة عما قام به ويخوفه عاقبة فعله، فإجابة أبو الحسن: ((من قدم على هذا لا يرجع بكتاب)) وهو دليل واضح على موافقة الوالد لولده لأنه اتفاق سابق إذ فدى بنفسه أهل بلده، وان الثورة التي بدأت لابد لها إن تستمر وتتوج بالنصر لأهل صفاقس والشهادة له، ولهذا أمر بتقيده وسجنه. ولما يأس وليام الأول من الفرياني اتخذ طريقاً آخر اعتقد انه سينفع وهو طريق التهديد والوعيد حيث بعث ذلك مع رسول إلى عمر يأمره بترك ما ارتكبه[190]، وبالرغم من إن السفينة التي كانت تحمل رسول وليام الأول لم تستطيع إن تقترب من الساحل بسبب هياج البحر، لكن الإخبار تسربت بوصول ذلك الرسول إلى عمر ليبلغه قرار قتل والده إذا لم يعد إلى الطاعة، ولهذا استعد عمر لجواب الرسول معنوياً حيث: ((خرج الناس يكبرون ويهللون ومعهم نعش قد رفعوه على رؤوسهم فحطوه فتقدم عمر فصلى علية ودفنه وعزاه الناس وانفصلوا ...)) [191]، كان حامل الإنذار الصقلي ينظر مندهشا لهذا الموكب الذي شاهده، فأراد إن يعرف حقيقة الخبر، فبعث من يأتيه بصحة ما رأى، وجاء الجواب يقول له: إن الشيخ عمر مشغول اليوم بعزاء والده الذي بقي للمدة من (543-551هـ) رهينة بصقلية، وان النعش الذي شاهده إنما هو نعش أبا الحسن الفرياني لان عمر عزم على موت والده، ولهذا فان رسالتك تعتبر منتهية، وان جواب إنذارك هو ما رأيت من موقف الشيخ عمر في شأن والده، وعاد الرسول يحمل الجواب إلى سيده ولم يكن الجواب رسالة أو نتيجة محادثة، بل وصف ما شاهده، ولهذا اشتد غضب وليام الأول، وعزم هو الآخر على تنفيذ الإنذار فأمر بسحب الشيخ أبا الحسن الفرياني إلى المشنقة بوادي عباس قرب مدينة بلرم حيث نفذ فيه حكم الإعدام شنقاً وهو يتلو كتاب الله إلى آخر رمق في حياته[192]، وهكذا تنتهي هذه النادرة العجيبة في البطولة والتضحية والفداء، والتي لم تقتصر نتيجتها على تحرير مدينة صفاقس بل شملت اغلب المدن الساحلية التي حذت حذوها صفاقس في التحرر من الاحتلال النورماني.

اصبح لحركة عمر الفرياني صدى وتاثير واضح في المناطق الاخرى وكانت (زويلة[193]) أولى المدن استجابة وتأثيرا لحركة عمر الفرياني فقاموا بالثورة وشاركهم بنو هلال وبنو سليم، وكان رد فعل وليام الأول تجاه الثورة سريعاً حيث أرسل عشرين مركبا مزودة بالطعام والسلاح لضرب الحصار على زويلة، من جهة كما استخدموا طريقة خلق التفرقة بين سكان المدينة وبني هلال وبني سليم من جهة أخرى، واستطاعوا إن ينجحوا بذلك حيث انسحب بني هلال تاركين سكان المدينة لمواجهة قدرهم مع النورمان الذين قتلوا منهم الكثير واستباحوا وقتلوا النساء والأطفال وبهذا أصبحت زويلة ملاذاً للنورمان في افريقية[194]. لكن ذلك لم يدم طويلاً إذ أستطاع الموحدون أسترجاع المدينة من يد النورمان بحدود سنة 554هـ[195]

تبعت مدينة زويله في الثورة كل من جربة وقرقنه التي استطاعت من طرد المحتلين في نفس العام[196]، اما بالنسبة لطرابلس فكانت تترقب الاحداث وتتحين الفرص من اجل الانقضاض على المحتلين والتخلص من حكمهم اولا ومن ضريبة الجزية التي كانوا يفرضونها على السكان ثانيا، وقد اعطى ظهور الدولة الموحدية على مسرح الاحداث السياسية في المغرب دافعا معنويا لاهل طرابلس من اجل الثورة على المحتلين مدفوعين بعوامل متعددة [197] منها:

1- يقظة الشعور القومي والديني بفضل قوة الموحدين في المغرب.
2- الأمل في الحصول على العون المالي والمعنوي من الموحدين .
3- مبادرة بني مطروح واعيان المدينة بالثورة على الحامية قبل أن تعمد الحكومة النورمانية إلى إرسال تعزيزات من الجيش والأسطول لفرض سياستها بالقوة.
4- الاطمئنان إلى قلة الحامية النورمانية.
5- عودة رهائن المدينة إلى طرابلس بعد إن أطمان النورمان إلى ولاء أهلها.
6- كرههم الخضوع لحكومة غير مسلمة واستمرارهم دفع الجزية لها .

وهكذا كان للعامل (القومي[198]) و(الديني[199]) دورُ واضحُ في ثورة أهل طرابلس ولكن التجاني[200] يذكر لنا أن السبب المباشر للثورة هو إن النورمان لما رأوا بدأ تغلب الموحدين على أقطار المغرب العربي طلبوا من أئمة المساجد في طرابلس أن يذموا الموحدين على المنابر ويستثيروا كراهية الناس لهم، فاجتمع الناس إلى قاضيهم أبو الحجاج يوسف وأوضحوا إن هذا الأمر خطير ولا يستطيعون تحمله، فذهب القاضي إلى قائد الحامية وأوصله رسالة أهلها وانهي حديثه بان موقف أهل البلد في ذم الموحدين أمر يخالف الدين الإسلامي لان الجميع مسلمون وعلى النورمان إما إن يتوقفوا عن الذم وإلا سيرحلون هم عن مدينتهم.يبدو مما تقدم إن أهل طرابلس بدأوا يهددون النورمان بالموحدين، وربما هذا الشئ توضح للنورمان لأنهم استجابوا لما أراد أهل المدينة وتراجعوا عن طلبهم ومع هذا كانت رغبة أهل طرابلس بالحرب والتخلص من الغزو الأجنبي هدفهم الأكبر، ولم يعّولوا على استجابة مطالبهم، ولهذا استمروا في ترتيب صفوفهم، وتحددت ساعة الصفر وذلك سنة 553هـ وفي إثناء الليل قام أهل طرابلس بوضع الحبال والخشب في الطرقات لعرقلة خيل العدو من الجري، ولما سمعت الحامية بالثورة تحركت لمعالجة الموقف ولكن خيولهم تعثرت بالحبال والخشب فلهذا قبضوا عليهم الأهالي وقتلوهم، وأحرقت بيوتهم بالنار، وبقي ابن مطروح سيد الموقف بطرابلس، وقد استطاع استمالة عرب بني هلال وبني سليم المحيطين بالمدينة، فاستطاع أهل طرابلس تحرير مدينتهم وبقي ابن مطروح حتى وصول عبد المؤمن بن علي إلى المهدية[201].

العلاقة بين الدولة النورماندي ومصر

أ- العلاقة مع الدول الفاطمية

بعد انتقال الخليفة الفاطمي المعز الله إلى مصر سنة 362 هـ بقيت جزيرة صقلية تابع له بشكل مباشر وحرص على عدم منحها الاستقلال[202] إلا أن الظروف الداخلية التي كانت تمر بها الدولة الفاطمية واتجاهها نحو المشرق شجع حكام الجزيرة المذكورة على التفكير بالاستقلال الذاتي ومع هذا ظل من حق الخليفة الفاطمي تعيين الوالي الجديد في صقلية حتى سنة 410هـ وأصبح فيما بعد تعين الوالي الجديد أمر خاص بصقلية دون أخذ رأي الخليفة الفاطمي أو موافقته[203]. وعلى الرغم من أنفصال صقيلة عن الفاطميين إلا أن العلاقات التجارية بقيت مستمرة بين الطرفين إذ أن صقلية بموقعها المتميز على البر جعل السفن الذاهبة من مصر الى إيطاليا تمر بها للبيع والشراء منها[204]، وكان عرب صقلية يرسلون سفنهم التجارية الى مصر من أجل الحصول على البضائع الأسيوية[205].أحجمت المصادر الاسلامية المتوفرة لدينا عن ذكر أي علاقة بين مصر وصقلية في العهد النورماندي إلا أن القلقشندي أورد لنا وثيقة ضمن نماذج المراسلات السلطانية وهي عبارة عن رسالة جوابية من الخليفة الفاطمي الحافظ بالله الى صاحب صقلية رجار الثاني والتي تشير الى وقوع مكاتبات بين الطرفين كما يفهم من الوثيقة نفسها (أما بعد فقد عرض بحضرة أمير المؤمنين الكتاب الواصل من جهتك خفض ختامه وأجتلي. وقرئ مضمونة وتلي، ووقعت الاصاخة الى فصول، وحصلت الاحاطة بجملة وتفاصيلة، والإجابة تأتي على أجمعه، ولاتخل بشيء من مستودعة) [206]. ومن خلال القرءة المتأنية للوثيقة يتضح ما يلي:

أولاً: تأييد الخليفة الفاطمي للأحتلال راجار الثاني لمدينة جربة سنة 529هـ (وأما ماذكرته من أفتتاحك الجزية المعروفة بجربة لما شرحته من عدوان أهلها وعدولهم عن طرق الخيرات وسبلها وأجترائهم في الطغيان على أسباب لايجوز التغافل عن مثلها، وأستعمالهم الظلم تمرداً، وتماديهم في الغي تباهياً في الباطل ، وغلوا ، يأساً من الجزاء لما أستبطئوه، فأن من كانت هذه حالتة حقيق أن تكون الرحمه عن نائية، وخليق أن يأخذه الله من مأمنه أخذة رابية) [207].

ثانياً: قيام الخليفة الفاطمي الحافظ بالله باطلاق سراح الاسرى النورمان الموجودين لدى الدولة الفاطمية الذين ربما وقعوا في قبضة الفاطميين أثناء الحروب الصليبية وتعهده باطلاق من تجدد أسره (وأما شكرك على الاسرى الذين أمر أمير المؤمنين باطلاقهم أجابه لرغبتك، ورسم بتسييرهم اليك محافظة على مرادك وبغيتك فاوزعنا شعارهم أنهم عتقاء شفاعتك وارقاء منتك فذلك من الدلائل على ما ينطوي عليه من جميل الرأي وكريم النية، ومن الشواهد بانه يوجب لك ما لايوجبه لأحد من ملوك النصرانية ، وإما سؤالك الآن في أطلاق من تجدد اسرة ، وأنهاؤك أن ذلك مما يهمك أمره، فقد شفعك أمير المؤمنين بالاجابه اليه على مألف من كريم شيمته..) [208].

ثالثاً: تبادل الهدايا بين الخليفة الفاطمي وصاحب صقلية (وأما ماسيرته الى خزائن أمير المؤمنين تحفه وهدية، وأنبت به عن همة بدواعي المجد ملية، فانه وصل وتسلم كل صنف منه متولى الخزائن المختصة به بعد عرضة على الثبت المعطوف كتابك عليه وموافقته، وقد أجري رسولك في أكرامه وملاحظته على أفضل مايعتمد مع مثله بمنزلة من ورد من جهته وعلى قدر من وصل برسالته) [209].

رابعاً: أن الشخص الذي قام بنقل الرسالة الى رجار الثاني هو أبا منصور جعفر الحافظي (وقد سير أمير المؤمنين من أمراء دولتة، ووجوه المتقدمين بحضرته، الأمير المؤتمن المنصور المنتخب، مجد الخلافة، تاج المعالي، فخر الملك ، موالي الدولة وشجاعها، ذا النجابتين، خالصة أمير المؤمنين، أبا منصور جعفر الحافظي رسولاً بهذه الأجابة) [210]

خامساً: طلب الخليفة الحافظ بالله من رجا الثاني الاستمرار بالمكاتبات والرسائل (وأمير المؤمنين متطلع الى ورود كتبك متضمنه من سار أنبائك وطيب أخبارك ما يسكن الى معرفته، ويثق بعلم حقيقته فأعلم هذا وأعمل به أنشاء الله تعالى) [211].

ويبدو أن المراسلات بين الطرفين بقيت مستمره إذ يشير كنار[212]. الى أن راجار الثاني عقد في سنة 538هـ معاهدة تجارية مع الفاطميين لضمان حرية الملاحة في البحر المتوسط وبذلك كانت العلاقات التجارية هي السمة البارز التي غلفت العلاقة بين الطرفين والتي حرص كل طرف على الحفاظ عليها وهذا مايفسر لنا تأييد الخليفة الفاطمي الحافظ بالله للأحتلال رجار الثاني لجزيرة جربة[213]، دون ان يضع أي اعتبار لرابطة الدم والدين التي كانت تربطه مع أخوانه سكان أفريقية وكانت المصلحة الخاصة في المقام الاول وهذا يعكس لنا حالة الضعف التي كانت تمر بها الدولة الفاطمية نتيجة أنشغالها بقتال الصليبين في المشرق.

ب- العلاقة مع الأيوبيين

عقب الأيوبيين الفاطميين في حكم مصر في حدود سنة 567هـ ، عند ما أعلن صلاح الدين الأيوبي الذي كان يعمل وزير لدى الخليفة الفاطمي العاضد بالله قطع الخطبة في مصر للفاطميين وأعادتها الى الخلافة العباسية في بغداد ، بعد مائتين وسبعين سنة من حكم الفاطميين، فضلاً عن ذلك فقد أستقل صلاح الدين عن الزنكيين في الموصل وحلب، وأعلن دولته المستقلة التي شملت بالأضافة الى مصر وطرابلس الغرب النوبة واليمن وفلسطين ووسط الشام وحاز على أقرار الخليفة العباسي المستضيء بالله سنة 570هـ[214]أما بالنسبة لعلاقة النورمان بالدولة الأيوبية فقد بدأت منذ فترة مبكرة حتى قبل قيام هذه الدولة نفسها وبالتحديد في سنة 565هـ ، أثر تقلد أسد الدين شيركوه عم صلاح الدين منصب الوزارة في مصر عند مابعثه نور الدين محمود أتابك حلب الى البلاد المذكورة لمساعدة أهلها ضد الصليبيين[215] الذين خشوا بالمقابل من أمتداد نفوذ نور الدين محمود الى مصر لذلك تحركوا لغزو هذه البلاد وطلبوا المعونة من أمير صقلية وليام الأول الذي أمدهم بالمال والسلاح وبذلك يقول المقريزي[216] فيها (أي سنة خمس وستين وخمسمائة) تحرك الفرنج لغزو ديار مصر وقطع أثار جند المصرين. فكاتبوا فرنج صقليه وغيرهم وأستنجدوا بهم، فأمدوهم بالمال والسلاح والرجال وسارو بالدبابات والمنجنيقات الى دمياط، فنزلوا عليها في مستهل صفر بالف ومائة مركب، مابين شيني ومسطح وشلندي وطريده، وأحاطوا بها براً وبحراً).لم تحقق الحملة الصليبية على دمياط الهدف الذي أعدت من أجله بسبب مقاومة أهل المدينة فضلاً عن التعزيزات العسكرية التي أرسلها صلاح الدين الأيوبي الى المدينة بقيادة أبن أخية الأمير تقي الدين كذلك فأن نور الدين محمود قام من جانبه بالضغط على ممتلكات الصليبيين في ساحل الشام ونتيجة لذلك أنسحب الصليبيون عن مدينة دمياط بعد حصار دام أحد وخمسين يوماً بعد أن أحرقوا ماثقل عليهم من المنجنيقات وغيرها[217]وبذلك فأن دعم النورمان في صقلية لأبناء جلدتهم الصليبيون أثناء حصارهم لدمياط يعد مشاركة أولى من جانبهم في الحروب الصليبية التي كانت تستهدف المغرب العربي وبالتحديد مصر إذ لم يسبق للنورمان أن شاركوا في الحملات الصليبية في منطقة المغرب العربي قبل هذه المدة وخاصة في عهد راجار الأول الذي رفض الكثير من الدعوات للمشاركة في الحروب الصليبية لأسباب سياسية واقتصادية وهذا ما أكده أبن الأثير[218] بقوله (فلما كانت سنة تسعين وأربعمائة خرجوا إلى بلاد الشام وكان سبب خروجهم إن ملكهم بردويل[219] جمع جمعا من الإفرنج ... فأرسل إلى رجار يقول له: قد جمعت جمعا كثيرا وانأ واصل إليك وسائر من عندك إلى افريقية افتحها وأكون مجاورا لك)) [220]، ولكن رجار لم يقبل وقال لمستشاريه (إذا وصلوا إليَّ احتاج إلى كلفة كثيرة، ومراكب تحملهم إلى افريقية، وعساكر من عندي أيضا، وان فتحوا البلاد كانت لهم، وصارت المؤونة لهم من صقلية وينقطع ما يصل من المال من ثمن الغلات كل سنة، وان لم يفلحوا رجعوا إلى بلادي وتأذيت بهم ... وأحضر رسوله، وقال له: إذا عزمتم على جهاد المسلمين، فأفضل ذلك فتح بيت المقدس، تخلصوه من أيديهم ويكون لكم الفخر...)) [221]، ويتضح من كلام ابن الأثير إن رجار الأول لم يريد التعرض لأي خطر أو مجازفة، كما لم يكن لديه السفن الكافية لأنها كانت ضرورية لمواجهة أي خطر محتمل، لا سيما وان الوضع العام في الجزيرة لم يكن مستتبا، ومع هذا فان رجار الأول كان يفكر بواقعية ويقدم مصلحته ومصلحة بلاده على كل شيء، لأنه فكر لو نجح الإفرنج في مشروعهم، فان صقلية قد تفقد الاحتكار الذي تمتعت به في افريقية، لان في حالة انتصار الإفرنج ستنتقل التجارة إليهم لكونهم المنتصرين والمتحكمين بالبلاد التي يحتلونها هذا من ناحية، كذلك كان يفضل الاحتفاظ بعلاقته مع بني زيري ويظهر بأنه المحترم للعهود في هذه الفترة من ناحية أخرى، ولهذا قال لأصحابه ((إذا لم يفلحوا رجعوا إلى بلادي، وتأذيت بهم ويقول تميم غدرت بي، ونقضت عهدي، وتنقطع الوصلة والإسفار بيننا...)) [222]، فضلاً عن خططه المستقبلية في احتلال افريقية ويبدو ذلك واضحا من قوله(وبلاد افريقية باقية لنا متى وجدنا قوة أخذناها)) [223].مهما يكن من أمر اراد النورمان من مشاركتهم في الحلمة على دمياط الحد من نفوذ الأيوبيين في مصر ، والأبقاء على العلاقات التجارية الجيدة التي كانت تربطهم مع الفاطميين في البلد المذكور. تدهورة بعد ذلك العلاقة بين النورمان والأيوبيين ، بسبب أعلان صلاح الدين الأيوبي سنة 567هـ نهاية الدولة الفاطمية وقيام الدولة الأيوبية في مصر لذلك أخذ النورمان يتحينون الفرص للأنقضاض على مصر وتخليصها من يد الأيوبيين[224]. كانت الفرص مؤاتية للنورمان للتدخل العسكري في مصر وذلك عندما أستنجد أهلها بملك صقلية وليام الثاني لتخليصهم من صلاح الدين الأيوبي وبذلك يقول أبن الأثير[225] في هذه السنة (أي سنة سبعين وخمسمائة) في المحرم، ظفر أهل الاسكندرية وعسكر مصر باسطول الفرنج من صقلية، وكان سبب ذلك ما ذكرناه من (أرسال) أهل مصر الى ملك الفرنج بساحل الشام ، والى صاحب صقلية ، ليقصدوا ديار مصر ليثوروا بصلاح الدين ويخرجوه من مصر ، فجهز صاحب صقلية أسطولاً كثيراً، عدته مائتا شيني تحمل الرجال، وست وثلاثون طريده تحمل الخيل، وست مراكب كبار تحمل آلة الحرب وأربعون مركباً تحمل الأزواد. وفيها من الراجل خمسون الفاً، ومن الفرسان الف وخمسمائة.....).تصدى أهل الإسكندرية للأسطول النورماندي الذي حاصر مدينتهم وقاتلوه ببسالة فضلاً عن أرسالهم الكتب الى صلاح الدين الأيوبي يستدعونه الى قتال النورمان، وقد تكللت جهود المقاومين بالنجاح عندما أستطاعوا من هزيمة الاسطول النورماندي[226].كذلك فأن صقلية أصبحت مركز للحملة الصليبية الثالثة[227] التي قادها أبرز ملوك أوربا والتي أستهدفت مصر والشام في العهد الأيوبي والتي حدثت بعد أسترداد صلاح الدين لبيت المقدس سنة 583هـ وعلى الرغم من أن وليام الثاني ملك صقلية لم يشترك في الحملة إلا أن أسطوله لعب دوراً كبيراً في العمليات العسكرية التي دارت هناك[228].

مما تقدم يتضح أن هنالك أسباب سياسية وأقتصادية ودينية دفعت العلاقة بين النورمان والأيوبيين الى التوتر والصدام.

العلاقة بين الدولة النورماندية والمغرب الأقصى

أ- العلاقة مع المرابطين

شهد المغرب الأقصى في حدود سنة 451هـ ظهور حركة المرابطين التي أستطاعت القضاء على دول الطوائف في المغرب الأقصى، وتوحيد البلاد المذكوره تحت سلطانها ودانت لها بالولاء معظم قبائل الصحراء في بلاد السودان الغربي فضلاً عن ذلك أستطاع أحد أمرائها وهو يوسف بن تاشفين (453-500)هـ العبور الى الأندلس والقضاء على ملوك الطوائف فيها وضمها الى حظيرة الدولة المرابطية، فأمتد ملك المرابطين ليشمل كل من المغرب الأقصى وبلاد السودان الغربي أضافة الى الأندلس[229].

أما بالنسبة لعلاقة النورمان بالمرابطين فقد بدأت في حدود سنة 516هـ عندما يئس أهل أفريقية من مساندة الفاطميين في مصر لهم في صراعهم ضد النورمان الذين استولوا على صقلية واخذوا يهددون بمهاجمة المدن الساحلية التابعة للدولة الزيرية التي لم تجد من بد سوى الأستنجاد بالمرابطين، الذين لم يتأخروا في تلبية نداء أهل أفريقية أذ قام الاسطول المرابطي بقيادة عبدالله بن ميمون في السنة المذكور بمهاجمة مدينة نقوطره التابعة لصقلية وسبى المرابطين النساء والأطفال وجميع ما وجدوه فيها حسب ما يذكر أبن عذارى[230]. لم يقف النورمان مكفوفي الأيدي أمام هجوم المرابطين ، أذ سارع راجار الثاني الى أرسال قائد أسطوله جورج الأنطاكي لمهاجمة مدينة المهدية وقصر الديماس، إلا أن حملة النورمان هذه باءت بالفشل بسبب هبوب رياح عاصفة دمرت أغلب مراكب النورمان وأضطرتهم الى التراجع الى أماكن أنطلاقهم[231]. أتسمت العلاقة بعد ذلك بين النورمان والمرابطين بنوع من الهدوء ، لأنشغال المرابطين بقتال الموحدين الذين ظهور كقوة لايستهان بها على مسرح الاحداث السياسية في المغرب الأقصى[232] الى حدود سنة 522هـ حيث جدد المرابطون هجومهم على جزيرة صقلية وأنزلوا جنودهم الى البر وظفروا بالغنائم والأسرى الأمر الذي دفع راجا الثاني الى التحالف مع ريموند الثاني كونت برشلونه لمواجهة التحالف الزيري االمرابطي[233]. أحجمت المصادر بعد ذلك عن ذكر أي علاقة بين النورمان والمرابطين والسبب في ذلك يعود الى ضعف الدولة المرابطية نتيجة حروبها المستمرة في المغرب والأندلس فضلاً عن ظهور الموحدين كقوة بديلة للمرابطين في البلاد المذكورة الأمر الذي سهل على النورمان الأستيلاء على أغلب مدن الساحل الأفريقي وكما ذكر أنفاً[234].

العلاقة مع الموحدين

أعقب الموحدون المرابطين في حكم المغرب والأندلس حدود سنة 540هـ[235] أما بالنسبة لعلاقتهم بالنورمان فقد بدأت عندما هرب جماعة من أهل المهدية نحو مراكش للأستنجاد بامير الموحدين (عبد المؤمن بن علي[236])، واخبروه، بما جرى للمسلمين على أيدي النورمان في مدينتهم، فاستجاب إلى طلبهم خاصة بعد إن عرف من ضعف المدينة من مواجهه هذا الطاغوت الكبير وقال لهم ((ابشروا لا نصرنكم ولو بعد حين، وأمر بإنزالهم وأطلق لهم إلفي دينار، ثم أمر بعمل الروايا(الحبال) والقرب وما يحتاج إليه العسكر في السفر...)) [237]، وأعد حملة عسكرية كبرى ضمت مائة إلف مقاتل، وتوجه بها إلى المهدية عن طريق البر، بينما كان الأسطول المتكون من سبعين قطعة بحرية يتجه نحو المهدية أيضا[238]، وفي الوقت نفسه أمر عبد المؤمن بحفر الآبار ووضع أكوام من الحبوب لتموين الجيش على طول الطريق، كما كتب لعماله يأمرهم بحفظ الغلاة واشار السلاوي[239] بهذا الخصوص قائلاً ((وان يترك بسنبله ويخزن في مواضعه، وان يحفروا الآبار في الطرق ففعلوا ما أمرهم به وجمعوا الغلات ثلاث سنين، ونقلوها إلى المنازل وطبنوا عليها فصارت كأنها تلال ...)). يتضح مما تقدم مدى التدابير التي اتخذها عبد المؤمن من اجل تامين وصول الجيوش الكبيرة، والتي وصلت إلى مدينة تونس في شهر جمادي الأول سنة554هـ ومكث بها ثلاث أيام[240]، ثم اتجه إلى حصار المهدية في 12 رجب سنة 554هـ وكان بصحبته الحسن بن علي فأنبهر بحصانتها ، ثم خاطب الحسن قائلاً: (كيف نزلت عن هذا المعقل العظيم؟ فقال لقلة من يوثق به من الرجال وقلت القوت وحكم القدر) [241] ، تفقد بعد ذلك عبد المؤمن أمور المدينة عن طريق البحر وتأكد له إن فتحها لا يمكن لا بالحصار الطويل الأمد، ولهذا قام باجراءات سريعة منها بناء جدار بينه وبين أسواق المدينة ليمنع الفرسان النورمان من مهاجمة جيشه والانسحاب دون خسائر، كما أمر بالأسطول الموحدي بإطباق الحصار على المهديه، ثم أمر إن تجمع المؤن، وبالمقابل قام النورمان بإخراج المسلمين من المدينة لكي لا يكون عبئاً عليهم بالطعام[242]. يتضح إن عبد المؤمن أراد محاصرة المدينة وقطع الإمدادات العسكرية والمؤن عنها، حتى تنفذ المؤن من الحامية العسكرية وتضطر إلى الاستسلام دون الدخول معها في معركة، واستمر النورمان محتمين داخل سورها سبعة أشهر حتى نفذت مؤنهم، وبذلك يقول المراكشي[243]: ((... فبهذا قدر الروم على الصبر على الحصار لأن النجدة كانت تأتيهم من صقلية في كل وقت: وأقام عبد المؤمن وأصحابه عليها سبعة أشهر إلا أياما، وإصابتهم عليها شدة شديدة من غلاء السعر بلغني عن غير واحد أنهم اشتروا الباقلاء في العسكر، سبع باقلات بدرهم مؤمني [نسبة إلى عبد المؤمن] وهو نصف درهم النصاب ...)).

وحاول وليام الأول فك حصار المهدية وحفظ ماء الوجه فاستدعى أسطوله الذي كان يهاجم سواحل الأندلس، وأرسله إلى المهدية بقيادة قائده المميز بطرس[244]، وكان هذا الأسطول ضعف الأسطول الإسلامي، ومع هذا فقد كانت الرياح لصالح المسلمين ولهذا كتب قائد الأسطول الإسلامي إلى عبد المؤمن يطلب منه الهجوم لان الرياح ستضطر النورمان إلى إن يتقدموا في غير نظام، وبالفعل تم اسر سبع أو ثمانية من السفن المهاجمة ولاذ الباقي بالفرار[245].إما النورمان فقد يأسوا من وصول النجدات إليهم من صقلية، ولهذا طلب وفد منهم يتكون عدد من الفرسان من عبد المؤمن مراكب تنقلهم إلى صقلية، فأجابهم على ذلك، غير إن الوقت كان شتاء فغرقت اغلب السفن[246]. هكذا تم النصر لعبد المؤمن بن علي الذي خرَ ساجداً حمداً لله ،على نصره وبهذه المناسبة وزع على الأسطول عشرة ألاف دينار مؤمني، ودخل المهدية منتصراً يوم عاشوراء من المحرم وسميت السنة سنة الأخماس لكثرة الغنائم والأخماس منها، أو لأنها سنة 555هـ[247] ، وأقام عبد المؤمن بالمهدية عشرين يوماً ((فرتب أحوالها وأصلح ما انثلم من سورها، ونقل إليها الذخائر من الأقوات والرجال والعدد، واستعمل عليها أبا عبدالله محمد بن فرج الكومي، وجعل معه الحسن بن علي الذي كان صاحبها وأمره إن يقتدي برأيه في أفعاله، وقطع الحسن بها إقطاعا، وأعطاه دوراً نفيسة [واسعة أو فخمة] يسكنها وكذلك فعل بأولاده...))[248]أتخذ النورمان من مسلمي صقليه كورقة ضغط على الموحدين فعندما حاصر عبد المؤمن بن علي

الحامية النورماندية في المهديه هدد صاحب صقليه بقتل المسلمين في الجزيرة أذ ما أقدم عبد المؤمن على أي عمل عدائي ضد الحاميه البالغ عددها ثلاث الاف لذلك نجد عبد المؤمن يطلق سراح الحامية[249].تكرر الموقف في سنة 556هـ عندما قامت ثور في صقليه في عهد وليام الاول ضد وزيره مايو ، وكان نتيجتها قتل عدد كبير من المسلمين[250] بعد ان هجموا عليهم واثخنو فيهم قتلاً في شوارع بلرم (ثم قتلوا المسلمين الذين كانوا في الدواوين أو في الفنادق والحوانيت، ونزعوا الاكفان عن جثث الموتى ، ولم يكن عدد من هلك من المسلمين قليلاً ... ولعل الادريسي كان من ضحاياها أيضا[251]ومن هذا يتضح انها حملة صليبيه ضد المسلمين في مدينة بلرم ، حيث انتزعت منهم اسلحتهم التي يدافعون بها عن انفسهم ، ولو بقيت لديهم ماحدث لهم ماحدث ، والروح الصليبيه هي التي شجعت هؤلاء النصارى على الاقدام على مثل هذا العمل ، وهي وكما نوهنا كانت كرد فعل للهزائم التي حلت بالنورمان على ساحل افريقيه.لم يكتف النورمان من بأضطهاد المسلمين في صقليه بل سعو جاهدين للإسقاط الدولة الموحدية في المغرب الأقصى ويتضح ذلك من خلال دعمهم لحركة بني غانيه[252] في أفريقيا وقد ذكر بن خلدون[253] بهذا الصدد توجه عبد الله بن اسحاق بن غانيه الى صقليه لطلب المساعدة (وركب منها {أي صقليه} الى ميورقه ونزل بعض قراها ، وعمل الحيلة في تملك البلد فأستولى عليه ، واظطرمت نار الفتنه بأفريقيه) ، كذلك اكد بن عذارى[254] على ان عبد الله بن اسحاق حصل على المعونه من الاسطول النورماندي من اجل استعادت جزيرة ميروقه من ايدي الموحدين (واعين عبد الله منها {أي صقليه} بجفن يجهز فيه الى ميورقه وانضم الى بعض قرى في اطرافها وخدع بعض الرعيه بأستمالتها واستلطافها . فخرج عندهم واعانوه بدواب ورجال وسار الى البلد فدخله بتلطف واحتيال). الا ان علاقه العداء بين الطرفين تخللتها بعض العلاقات الوديه ففي سنة 575هـ وافق الملك النورماندي غليام الثاني ان يدفع جزيه سنويه الى الأمير الموحدي يوسف بن عبد المؤمن وأرسل اليه هدايا قيمه لكسب وده على ما يبدو[255] وعلى الرغم من توتر العلاقات بين المنصور الموحدي (580-595) والنورمان بسبب مساندتهم لحركة بني غانيه الا ان تقارب حصل مابين الجانبين سنه 587هـ كان نتيجة توقيع معاهدة بين وليام الثاني والمنصور الموحدي كان يغلب عليها الطابع التجاري[256]

الخاتمة

- كشفت الدراسة عن حالة الضعف والأنقسام التي كان يعيشها المسلمون في جزيرة صقلية والتي سهلت على النورمان أحتلال الجزيرة المذكورة سنة 484هـ.
- كشفت الدراسة أيضاً عن ضعف جبهة المغرب العربي بسبب صراع أمرائها فيما بينهم الأمر الذي سهل على النورمان أحتلال أغلب مدن الساحل الإفريقي من طرابلس شرقاً حتى نهاية الساحل التونسي غرباً ودامت تبعية تلك المدن للمحتلين أربعة عشر عاماً (541-555)هـ دفع خلالها سكان الساحل الجزية لرجار الثاني.
- أبدى النورمان تسامحاً مع مسلمي صقلية وأعتمد عليهم راجار الأول في جيوشه وأستمر ذلك في عهد ولده راجار الثاني الذي عين العرب في المناصب السامية في دولته، لذلك وصف بانه سلطان عربي يحمل تاج لملوك الأفرنج.
- شجع راجار الثاني الهجرة الى مدن الساحل الأفريقي المحتلة فهاجر اليها عدد من المستثمرين وذلك لغرض الأستيطان، وهي نزعة أستعمارية مبكره وأمتداد لنزعة الحروب الصليبية في المشرق والتي قامت بقصد أستعمار المغرب العربي أستعماراً أستيطانياً، وكان لهؤلاء المهاجرين منح وأمتيازات ، فقد منحهم راجار مساكن وأراضي زراعية وقروض مالية، كما حاول النورمان طرد أهالي المدن المحتلة الى الصحراء.
- على الرغم من حالة الضعف التي كان يعيشها الأمراء المسلمون في المغرب العربي، فقد عز عليهم أن تضيع صقلية من يد المسلمين لذلك أرسل تميم بن المعز أمير الدولة الزيرية أسطولاً بقيادة ولديه أيوب وعلي لمساعدة أخوانه المسلمين في صقلية في صراعهم ضد المحتلين النورمان كذلك فأن المرابطين وعلى الرغم من أنشغالهم بقتال الموحدين في المغرب الأقصى فقد قاموا بارسال حملتين بحريتين الى جزيرة صقلية من أجل أستعادتها من يد النورمان.
- تصدى سكان مدن الساحل الأفريقي للغزو النورماندي وقاوموه بشده من خلال العديد من الأنتفاضات منها انتفاضة صفاقس سنة 551هـ وانتفاضة جربة سنة 553هـ والتي أستطاعت من طرد المحتلين من هذه المدن وفتحت الباب على مصراعيه من أجل قيام أنتفاضات في مدن أخرى.
- لم يحرك الفاطميون في مصر ساكناً أتجاه الغزو النورماندي للساحل الأفريقي بل سعوا بدل من ذلك الى تأييد هذا الغزو ويتضح ذلك جلياً من خلال تأييد الخليفة الفاطمي الحافظ بالله للأحتلال النورماندي لجزيرة جربة سنة 529هـ وربما السبب في ذلك يعود الى أنشغال الفاطميين بالحروب الصليبية في جهة المشرق من جهة فضلاً عن حرص الدولة الفاطمية على الأحتفاظ بعلاقات جيدة مع النورمان لضمان حرية الملاحة في البحر المتوسط من جهة أخرى، وبذلك سمت المصالح الخاصة على رابطة الدم والدين.
- أتسمت علاقة النورمان بالأيوبين بكونها علاقات عدائية وذلك لأن النورمان نظروا الى أعلان صلاح الدين الأيوبي قطع الخطبة في مصر للفاطميين وأعادتها الى الخلافة العباسية بمثابة الضربة القاضية للمصالح التجارية التي كانت تربطهم مع الدولة الفاطمية لذلك أخذوا يتحينون الفرص من أجل الأنقضاض على الأيوبين وتوفرت لهم هذه الفرصة في سنة 570هـ، فقاموا بمهاجمة مدينة الأسكندرية إلا أن حملتهم هذه لم يكتب لها النجاح.

وأخيراً تلقى النورمان ضربة موجعة على يد زعيم الدولة الموحدية عبدالمؤمن بن علي الذي أستطاع تحرير كامل الساحل الأفريقي من الأحتلال النورماندي الذي تقهقر الى صقلية وأحكم عبد المؤمن بن علي قبضته على جميع بلاد المغرب العربي بدون منازع وكان ذلك سنة 555هـ، وأجبر زعيم النورمان وليام الأول على دفع الجزية للموحدين.

ملحق رقم (1)

رسالة الحافظ لدين الله الفاطمي إلى ملك صقليه راجار الثاني[*].

من عبد الله ووليه عبد المجيد ابي الميمون الامام الحافظ لدين الله امير المؤمنين ، الى الملك بجزير صقليه وانكوريه وانطالية وقلوري وسترلو وملف ، وما انظاف الى ذلك ، وفقه الله في مقاصده ، وارشده الى العمل بطاعته في مصادره وموارده.

سلام على من اتبع الهدى ، وامير المؤمنين يحمد اليك الله الذي لااله الا هو ، ويسأله ان يصلي على جده محمد خاتم النبيين وسيد المرسلين : صلى الله عليه وعلى اله الطيبين ، الائمة الطاهرين ، سلم تسليما اما بعد فقد عرض بحضرة امير المؤمنين الكتاب الواصل من جهتك ففض ختامه واجتلي . وقرىء مضمونه وتلي ، ووقعت الاصاخة الى فصوله ، وحصلت الاحاطة بجمله وتفاصله . والاجابه تأتي على اجمعه ، ولاتخل بشيء من مستوعه.اما ما افتتحته به من حمد الله تعالى على نعمه ، وتوسعك القول فيما اولاك من احسانه وكرمه ، فأن مواهب الله تعالى ومننه التي جعل تواليها اختبار شكر العبد وامتحانه على انه بخائنة الاعين وماتخفي الصدور عليم . وهو القائل فيمن اثني عليهم : اولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى لهم مغفرة واجر عظيم ، لايزال مضاعفها ومرادفها ، ومتبعاً سالفها أنفها ، وهو يوليها كلا من عبيده بقدر منزلته عنده ويخص اصفيائه بأوفى مما تمناه الامل المبالغ ووده . والله تبارك وتعالى يمنح امير المؤمنين واباءه الائمة الراشدين ماغدت مستقدمات الحمد والشكر عند لوازمه مستاخره اذ كان افردهم دون الخليقة بأن اعطاهم الدنيا ثم اعطاهم الاخره . واختصهم من حبائه بما لايحصيه عدد , وخولهم من الائه بما لايقوم بشكره احد.واما ذكرته من افتتاحك الجزير المرعفة بجربه لما شرحته من عدوان اهلها وعدولهم عن طرق الخيرات وسلبها واجترائهم في الطغيان على اسباب لايجوز التغافل عن مثلها ، واستعمالها الظلم تمرداً ، وتماديهم في الغي تباهياً في الباطل وغلواً بأساً من الجزاء لما استبطئوه فأن من كانت هذه حالته حقيق أن تكون الرحمه عند نائبه وخليق أن يأخذه الله من مامنه اخذه رابية كما انه من كان من اهل السلامه وسالكاً سبيل الاستقامه ومقبلاً على صلاح شأنه وغير متعد للواجب في سره واعلانه تعين ان توفر من الرعايه سهمه وتجزل من العنايه نصيبه وقسمه، ويؤمن مايقلقه ويزعجه ، ويقصد بما يسره ويبهجه ، ويصبان عن أن يناله مكروه، ويحمى من أذى يلم به ويعرو.

وأما شكرك لوزيرك الأمير تأييد الدول وعضدها عز الملك وفخره نظام الرياسه، أمير الأمراء، فا، من تهذيب بتهذيبك وتخلق بأخلاقك وتأدب بتأديبك لا ينكر منه أصابة المرامي ، ولايستغرب عنده نجح المساعي، وواجب عليه أن لايجعل قلبه إلا مثوى للنصائح، وان لا يزال عمره بين غاد في المخالصه ورائح. وأما المركب العروس ووصول كتاب وكليه ذاكراً ما أعتمده مقدم أسطولك من صونه وحمايته، وحفظه ورعايته، وأعادة ما كان أخذ منه قبل المعرفة بانه جار في الديوان الخاص الحافظي، ففعل يجمل عنك صدره ، ويليق بك أن ينسب اليك ذكره وخبره، ويدل على علم أصحابك برأيك وأحكام معاقده المود ، ويعرب عن ايثارك أبرازها كلما تقادم عهدها في ملابس بهجة مستجده ، وهذا الفعل من خلائقك الرضية غير مستبدع ، وقد ذخرت منه عند امير المؤمنين ماحصل في اعز مقر واكرم مستودع ، لا جرم أن أوامره خرجت الى مقدمي أساطيله المظفر بما يجنيك ثمره ما غرسته ، ويعلى منار ثنائك الذي قررته على اقوى اصل واسته ، وقد نفذت مراسيمه باجرائك على غلاتك المستمرة في المسامحة بما وجب للديوان عما وصل برسمك على مراكبك ، وبرسم الامير تأييد الدول وزيرك ، والرسولين الواردين عن حق الورود الى ثغر الاسكندري ن حماه الله تعالى ، ثم مصر ، حرسها الله تعالى ، وحق الصدور عنهما وكل ما يصل من جهتك فعلى هذه القضية. واما شكرك على الاسرى الذين امر أمير المؤمنين باطلاقهم اجاب لرغبتك، ورسم بتسييرهم اليك محافظة على مرادك وبغيتك فاوزعنا شعارهم انهم عتقاء شفاعتك وارقاء منتك ، فذلك من الدلائل على ما ينطوي عليه من جميل الرأي وكريم النية ، ومن الشواهد بانه يوجب لك ما لايوجبه لأحد من ملوك النصرانية.وأما سؤالك الآن في اطلاق من تجد اسره ، وانهاؤك أن ذلك ما يهمك أمره، فقد شفعك امير المؤمنين بالاجابة اليه على ماألف من كريم شيمته، وسير اليك مع رسولك من تضمن الثبت عدته. وقد علمت ما كان من أمر بهرام ووصوله الى الدولة الفاطمية – خلد الله ملكها - شريداً طريداً ، قد نبت به أوطانه ، وقذفته دياره ، لا مال له ولا حال ، ولاعشيرة ولا رجال ، فقبلته أحسن قبول ، وبلغت به في الاحسان ما يزيد على السّول وغمرته من الانعام ما يقصر عن اقتراحه كل امل، وجعلته فواضلها يقلب الطرف بين الخيل والخول ، وكانت أموره كل يوم في نمو وزيادة ، واحوله توفي على البغية والارادة ، الى أن خرت نوبة أقضى التدبير في وقتها أن عدقت به الوزارة ، ونيطت به السفارة ، فوسوس له خاطره مازخرفه البطر وزينه ، وصوره الشيطان وحسنه ، واظهر ما ظهرت امارته ووضحت ادلته وعلاماته ، فاستدعى قبيلة وارسرته ، وجنسه وعشيرته ، بمكاتبات منه سرية ، وخطوط عثر عليها بالارمنية فكانوا يصلون اول اول ، الى أن اجتمع منهم عشرون الف رجل من فارس وراجل ، ومن جملتهم أبنا أخيه وغيرهما من اهله ، فدلوه بالغرور ، وحملوه على ماقضى بالاستيحاش منه والنفور وقووا عزمه فيما يؤدي الناضطراب الاحوال واختلال الامور، فامتعض العساكر المصورة مما اساء به سياستهم ، وابوا الصبر على غير به رسمهم وعادتهم ، فلما رأى أمير المؤمنين ذلك أستعظم الحال فيه ، وتيقن ان التغافل عنه يقضي بما يعسر استدراكه وتلافيه ، فكانت وليه وصيفه الذي ربي في حجر الخلافة ، وسما به استحقاقه الى اعلى درج الانافه ، وحصلت له الرياسه باكتسابه وانتسابه ، وغدا النظر في امور المملكة لايصلح لغيره ولا يليق غلا به ، السيد الاجل الأفضل ، وهو يومئذ والي الاعمال الغربية ، وصدرت كتب امير المؤمنين تشعره بهذا الأمر الصعب ، وتستكشف به ما عرا الدولة من هذا الخطب ، فاجاب دعاءه ولبى نداءه ، وقام قيام مثله ممن اجزل الله حظه من الايمان ، وجعله ، جل وعز ، حسنه هذا الزمان ، واختصه بعناي قوية ، وامده بمواد علوية ، وايده باعانه سماوية ، تخرج عن الاستطاعة البشرية. فجمع الناس وقام خطيباً فيهم ، وباعثا لهم على ما يزلفهم عند الله ويخطيهم وموضحاً لهم ما يخشى على الدولة من الامر المنكر، فاجتمعوا اليه كاجتماعهم يوم الحشر ، وغصت النجود والاغوار ، وامتلأت السهول والاوعار ، وضاقت الارض على سعتها بالخلائق ، وارتفعت في توجههم لطلب المذكر الاعذار والعوائق ، ولم يبق فضاء ، غلا وهو بهم شرق ، ولا احد وهو منزعج بقصده وعلى تاخر ذلك قلق ، وكان بهرام واصحابه بالاضافة اليهم كالشامه في اللون البسيط ، وكالقطره في البح المحيط، وساروا مع الاجل نحوه مسارعين ، على الانقضاض عليهم متهافتين ، فلما شعر بذلك لم يبق له قرار ، ولاذ بالهرب والفرار، يهجر المناهل ويطوي المراحل ويرى الشرود غنما، ويعد السلام حلماً. واستقرت وزراة أمير المؤمنين لهذا لاسيد الاجل الأفضل الذي لم تزل فيه راغبة ، وله خاطبة ، ونحو توليه أياها متطلعه ، والى نظره فيها مبادره متسرعة ، ولم تنفك لزينة دستها مستبطئه ، وفي التلهف على تاخر ذلك معيده مبدئة ، فاحسن الى الكافة قولاً وفعلاً ، وعمل في حق الدولة ما لم يجعل له في الوزارة شبهاً ولا في الملوك العظماء مثلاً وغدا للملة الجنيفة حجة وبرهاناً واولى الأولياء أعزازاً وتكريماً ، والاعداء أذلالاً واهواناً ، وصان الخلافة عن نفاذ حيلة وتمام غيلة ، ومخادعة ماكر ، ومخاتله غادر ، فلذلك أنتضاه امير المؤمنين حساماً باتراً ماضي الغرار، واجتباه هماماً في المصالح لايطعم جفنه غير الغرار ، واصطفاه خليلاً وظهيراً لتساوي باطنه وظاهره في الصفاء ، واستخلصه لنفسه لمفاخرة الجمةة التي ليس بها من خفاء ، وانتظمت الامور بكفالته في سلك الوفاق ، وعمت الخيرات

بوزارته عموم الشمس بانوارها جميع الآفاق فسعدت بنظرة الجدود ، وتظاهرت ببركاته الميامن والسعود ، واصبح غصن المعلي بيمنه مورقاً ، وعلى الملة من يمن أرئه تمائم من مس الحوادث ورقي فآثاره توفي على ضياء الصباح، وعزماته تزري بمضاء المهند الصفاح ، ومآثره تفوت شاؤ الثناء وغاية الامتداح، فالله تعالى يحفظ النعمة على الخلافة الحافظية ، ويوزع شكره على سبوغها كافة البرية بكرمه وفضله ، ومنة طوله. ولما أمعن بهرام في الهرب وجدت العساكر المنصورة وراءه في الطلب ، وضاقت عليه المسالك ، وتيقن أنه في كل وجه يقصدها هالك ، عاد لمكارم الدولة وعواطفها ، وسأل أمانا على نفسه من متالفتها ، فشملته الرحمة وكتب له بعد أن كان منحوساً من الحظوظ الموفرة. وأما اعتذار الكاتب عما وجه اليه بان من الكلام ما ذاا نقل من لغة الى لغة أخرى أضطرت مبناه فاختل معناه، ولا سيما أن غرس فيه لفظ ليس في احدى اللغتين سواه ، فقد ابان فيما نسب اليه السهو فيه عن وضوح سببه وقد قبل عذره ولم تفك يده عن التمسك به. واما ما سيرته الى خزائن أمير المؤمنين تحفه وهدية ، وانبت به عن همة بدواعي المجد مليه ، فانه وصل وتسلم كل صنف منه متولي الخزائن المختصه به بعد عرضه على الثبت المعطوف كتابك عليه وموفقته ، وقد أجري رسولك في اكرامه وملاحظته على افضل ما يعتمد مع مثله بمنزلة من ورد من جهته ، وعلى قدر من وصل برسالته ، وقد سير أمير المؤمنين من امراء دولته ووجوه المتقدمين بحضرته ، الأمير المؤتمن المنصور المنتخب ، مجد الخلافة ، تاج المعالي ، فخر الملك ، موالي الدولة وشجاعها ، ذا النجابتين ، خالصة أمير المؤمنين ، أبا منصور جعفراً الحافظي، رسولاً بهذه الاجابة ، لما هو معروف من سداده ، وموصوف من مستوفق قصده ومستصوب اعتماده ، القي اليه مايذكره ويشرحه ،وعول عليه فيما يشافه به ويوضحه ، واصحبه من سجاياه والطافه ماتضمنه الثبت الواصل على يده ، ابانه لمحلك عنده وموقفك منه ، ومانك لدية ، وأمير المؤمنين متطلع الى ورود كتبك متضمنه من سار انبائك وطيب أخبارك مايسكن الى معرفته ، ويثق بعلم حقيقته ، فاعلم هذا واعمل به أن شاء الله تعالى.

(*) القلقشندي : صبح الأعشى ، 6/447 – 452.

الهوامش والمصادر